من جهود الأمة
في خدمة القراءات القرآنية

الدكتور توفيق العبقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، وصلواته على محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

القراءات القرءانية هيآت تنزيلية، وأنماط ترتيلية، وآفاق تأويلية، وبينات إعجازية... وهي أوصاف تجعل من هذا العلم العلم القرءاني الأصيل، الذي يأخذ من شؤون الكتاب باللباب، ويدخل على علومه من كل باب.

فهو بسمته التنزيلية حين انتهج في إلقائه _على الأحرف السبعة _ التنجيم والتدرج على حسب المواقع والوقائع، قد أخذ الوصف التوقيفي، وحظي بالوسم النقلي، الذي اعتبر بموجبه من أعرق علوم الرواية الذي يترسخ من خلاله منهج المسلمين الفريد في لقن العلم ونقل المعرفة عن طريق الإسناد المتصل، والملاسنة المباشرة، والمشافهة الحية... وقد حرص علماء الأداء أن يكون رأس هذا الأمر وسنامه هو التلقي والأخذ، في أجلى صورة وأرفع مستوى وأحكم صيغة...

ثم كان الترسل الأدائي والترتيل الهجائي ذريعة مثلى لصون المأثور القرائي وحسن إذاعة مادته، ذاك بإقامة أصله وفرشه على سنن الإجادة في التلاوة والتمهر في القراءة، وهذا بتصوير حرفه ورسم سواده، اشتمالا على مترادف خلفه على سبيل الاحتمال المحقق لكمال الاستدلال.

ولهذا العلم حظه الوافر وخلاقه الكاثر من معاقد الدراية ومعاني الفهوم وغني الدلالات... لا جرم أن كان أصلا أصيلا من أصول علم التدبر، تسهم مادته _في اختلاف أشكال فرشها_في تفجير ينابيع الدلالة القرءانية، وإغناء مفادات الآي، مفترة بذلك عن وجوه من المعاني وبينات من المغاني، تتكامل في الفسر عن مراد الله تعالى، والكشف عن حقائق ملته وقصود شرعته. كما أن له اعتباره القوي في تنوع الأنظار الفقهية، وأثره البين في تعدد الفهوم الاجتهادية: توجيها وترجيحا وموازنة... وما كان له أن يتبوأ هذا المقام لولا أن له في علوم العربية الباع الرحيب، وأنه يأوي من قضاياها ومسائلها إلى ركن شديد، قد رصد _ شاذه قبل متواتره _ في أمانة ووثاقة من علوم الأصوات وموضوعات النحو وبحوث البلاغة... ما اعتبر بموجبه سجلا حافلا، وديوانا جامعا، ومرجعا وثيقا لا يستغني عنه من كان من هذه اللغة ومعارفها بسبيل...

إن هذا العلم — بما سلف من الوصف _ معلمة شاهدة على إعجاز هذا القرءان وربانية مصدره، من وجوه كثيرة، من أبينها أنه لم يسلمه خلف قراءاته وتعاور مرويه إلى تناقض أو تناف، أو إحالة أو فساد، بل كان تعدد حرفه واختلاف أشكال فرشه، هو نفسه الدليل على تناسق مادته، واطراد حقيقته، وكمال دلالته...

وقد استنفدت في خدمة هذا العلم نفائس الأعمار، على تطاول الأعصار والأمصار، وتوالت عليه الخلوف الكريمة تبث أنفاسها الطيبة في أرجائه وأنحائه، مما أثمر وجوها من كثير العناية، وضروبا من أثير الاهتبال، وكانت الرواية والدراية، والبحث والدراسة، والتنقيح والتحرير، والإتقان والتجويد، والأخذ والتعليم، والحفظ والتدوين... فضاءات رحيبة من العطاء الباهر والإسهام الزاهر، وإذا كان من صحيح النظر وسديد التدبير استنطاق الجهود فيما سلف من العهود إبراء للعهود، فإن استحضار هذه الجهود الجهيدة في هذه الآماد المديدة، وإرادتها لأن تمثل على وفق الجمع والتقصي، والدرس المبين، وأن تقع تحت التصنيف الصارم والتوصيف المحيط يعيي ويعني، ويكلف من الأمر الرهق، ثم هو غير ناج من معرة التقصير والخطإ...

ولما كان الغرض هو استخلاص الجهد المبذول واقتراءه، والنظر إليه للحكم عليه وتقدير عطاءاته كان النهج المقترح في عرض المادة هو التقديم فالتقويم، ولكن ذلك تعترضه أشواب من الاعتراضات، فكيف السبيل إلى العرض ودونك هذه الآماد المتطاولة، وأنى لك التصور الأمثل والنهج الأخصر الذي يصير بك للتي هي أوضح وأبين، خاصة وأن المطلوب هو إقصار اللفظ وإطالة المعنى، وعدم الإغراق في النزع مع الإبعاد في المرمى، فتتنكب المعارف المبتذلة المتكررة، التي أصبحت ملقاة في غير ما كتاب، ملفاة في كثير المدونات والمؤلفات، وما كان لهذا البحث أن يطلب سبيل التأريخ لهذا العلم، وقرو أطوار سيرته ومسيرته، أو الإحاطة بدواوينه وما سطر فيه، كما لا ييسر في هذا السياق التهمم بمفاتشة بعض القضايا وتقليبها على مسالك البحث والنظر... وإنما هو ذرو من القول وجمل من الكلم أريد بها الإفصاح عن بعض الأيادي العظيمة التي أسدتها الأمة لهذا العلم الجليل خدمة للكتاب الكريم.

لقد استقر الأمر بعد صبر على التأمل ومواظبة على التفكر على أن يسلك بالمادة المعروضة اعتبارا بمقوماتها المعتبرة في شخصيتها، وأن يستدل على اللمعة من خبرها بعينها قبل أثرها؛ إذ الجهد يستحضر بقيمة صاحبه، والسياق الذي تنشأ فيه، والأثر الذي أثمره، والأسباب التي تهيأت لشيوعه وذيوعه وبقائه... ورب عمل يختزن كبير الجهد لم يكتب له الذيوع والاستتباب، على ألا يشترط استيفاء ما هنالك من قضايا الخلاف، أو الاستيلاء على ما انتشر من الألفاف، وإنما الغرض هو الوقوف عند جلائل الأمور دون دقائقها، والنظر إلى الكيان القرائي النظرة الشمولية التي تأرز إليها أفراده، وتأوي إليها أوزاعه.

ثم إني جريت في استحضار هذه العطاءات على أن أجعل مرحلة التسبيع الفاصل بين قبليِّ الجهود وبعديِّها ؛ إذ لا يمتري أحد أن الجهد التسبيعي كان سياقا معتبرا، كأنما لحظ فيه التحام المشيئة القدرية بالإرادة الشرعية، فكانت مرحلة الصحابة والتابعين المرحلة التي تنطق بأصول هذا العلم وتؤسس لحقائقه، وهو العهد الذي إن أحسن استنطاق دلالاته واقتراء معانيه، أثمر من قواعد التأصيل وأرسى من كليات التأسيس في المعارف والأحوال ما يكون نبراس الأمة ودليل الأئمة...

تليها مرحلة التسبيع في بدء القرن الهجري الرابع التي سجلت في التاريخ القرائي الإنجاز الباهر الذي كان له أثره الكبير على مسيرة هذا العلم في مختلف أطواره، ثم إنه لا يسع الباحث إلا أن يقف عند القرن الهجري

الخامس الذي كان زاخرا بالعطاء والإسهام، خاصة في القيروان والأندلس اللتان برز فيهما أعلام كبار، وأخص بالذكر هنا الإمام أبا عمرو الداني الذي اعتبر كالمؤسس لهذا العلم، ومثل ظهوره منعطفا كبيرا في تطور التاريخ القرائي، خاصة أن مدرسته القرائية هي التي استقر عليها العرف القرائي إلى اليوم، وما كان بعد هذا العهد إلا ترسيخ لعمل الداني، ولو في صورة التوسيع من جهة الروايات والطرق: توثيقا ونخلا وتحريرا، وهو ما تم على يد المحقق ابن الجزري. ثم إني ختمت الحديث بالوصف المجمل للواقع القرائي في العصر الحديث؛ لما أنه إليه يساق الحديث.

ولقد أوحى إلي عنوان الأمة -وهو عنوان عريض كبير- من معاني الشمول والوحدة ما اعتبرت معه عرض الجهود وكسرها على مغربيها ومشرقيها نقضا للغرض منه ؛ إذ التقسيم مهما كان شكليا ومظهريا، فإنه كثيرا ما أوهم التقسيم في الحقيقة والمخبر... على أن الذي سوغه في عرض نفس الجهود هو أنه الأنجع في التبين والأصلح في البيان. ثم إنه صح مني العزم على أن تستبان معالم هذه الجهود في سياقات ثلاثة أظنها مرجع النظر في شأنه والآخذة بمجامعه، وهي: شعبة الرواية والتلقي، وشعبة التدوين والتصنيف، وشعبة الفقه المقارئي ودرية الرواية القرائية، بالنظر إلى أن القراءات لا تعدو الأداء الملفوظ والوضع المرسوم والمعنى المفهوم. على أن كثيرا من معاني هذه الجهود لا تستباح في هذا العرض إلا من لحن القول وإشارة الخطاب.

وكان طبيعيا أن يستفاد في خلال هذا النجيز مما كتب في التاريخ القرائي، الذي نث أمره وبث خبره في كثير البحوث والمؤلفات استقلالا، وكثير منه تكرر في صدور بعض الكتب القرائية المحققة.

ولقد علمت علم ضرورة أني ركبت شأو الخطر، ولكني رضيت بالقدر، حين أمرني شيخي الأجل وأستاذي الأكمل فضيلة العلامة الدكتور الشاهد البوشيخي _ وأمره مطاع _ أن أكتب في هذا الموضوع، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من هذا الجمع.

والحمد لله على مايسر وأعان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

التلقي والأداء(جهد الحفظ في الصدر)

مرحلة الخلافة الراشدة (مرحلة التأسيس والتأصيل)

لهذا العهد حظوة فريدة بوأته مقام الخيرية وتمام الفضل ؛ إذ تحقق له مفهوم الصحبة الكريمة التي تختزل فيها المشاهدة ذيول القول ومسهب الكلام ؛ فيستحيل عهد احتجان للمعلوم، واشتمال الصدور على المعارف والعلوم، والتذوق الفطري للفنون، قد انطوى على رواية ورعاية، وفهم ودراية، وعلم وعمل، وإيمان وخلق... وفي هذا العهد تأصلت أصول التلقي والإلقاء، وضبطت سنن الأخذ والأداء، واستبانت معالم التلاوة القرءانية، فقدأتى كبار الصحب على الإرث النبوي في مجال القراءة القرءانية تتبعا واقتداء، واقتباسا واحتذاء، وهدو إلى وضع اللبنات الأولى لعلم القراءة، وبدا هذا الأمر في مسالك كثيرة وتصاريف عديدة يمكن أن نستعرض بعض معاقدها في هذه السياقات:

1 – التأصيل لمنهج هذا العلم القائم على التلقي والمشافهة، وأن الإسناد وسم راسخ فريد في نقل هيآت حرفه، ولقن أنحاء لفظه، وهو أمر ترسخ في الأمة أن كان يجري وفق سنن التلقي النبوي الأول المنوه به في قوله تعالى:﴿ وإنك لتلقى القرءان من لدن حكيم عليم ﴾ [النمل: 6]، فكان منهج المدارسة النبوي القائم على أسلوب العرض والسماع في تحصيل هذا العلم وتوصيله، أقوم مناهج الأخذ وأضبط طرائق التعلم لديهم، وكان شرط الأخذ فيهم شعارا ذائعا أن :" اقرءوا كما علمتموه "[1]، وأن " القراءة سنة "[2].

2 ــ الإلحاح على أن تجري القراءة القرءانية على سنن الإجادة وأن يسلك بها مسلك الإتقان في تعاهد حرفها ورعي كلمها، وأن لا استقامة لها على الطريقة ما لم تتبرأ من معاب اللحن، وتتسم بسيماء الترتيل والتحقيق، وأوتي بعضهم في حسن تحبيره وجميل التغني به رفيع المقام... وبلغت قراءة أكابرهم أن كانت تقع على وفق الإنزال، وحق لأكابرهم أن ينعتوا بالمهارة والحذق في هذا الشأن، فكان: " أقرؤهم أبي بن كعب"[3]، وكانت قراءة ابن أم عبد غاية مرام كل راغب أراد أن تكون تلاوته مصيبة وجه الكمال... واعتبرت العبارات النبوية في حق أولئك الجلة أوسمة غالية وشارات عالية، تدل على كمال أهليتهم وتمام اقتدارهم في مقام التلاوة، وبعبارة علمية معاصرة، هي إجازة علمية نبوية شريفة لمن ذكر من علية الصحابة والمفتنين منهم في بابة التلاوة.

3 ــ التهمم بمطلب إتقان الحفظ، وجعله في صدارة علم الذكر، فكان دأب الصحابة من أول نزول الوحي إلى آخره البدار إلى حفظه وتجويده وتتبع وجوه قراءته، قياما بحق التعبد، واستدعاء لمودعات مطالبه التشريعية، وارتقاء في مراقيه الإيمانية، "ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى حفظ جميع القرءان جماعة من أصحابه، وحفظ الباقون منهم سائره متفرقا، وعرفوا مواقعه ومواضعه على وجه ما يعرف ذلك أحد ممن ليس من الحفاظ لجميع القرءان "[4]. وترد أسماء سبعة من جلة الصحب الكريم ممن حفظوا القرءان الكريم في معرفة الذهبي وهم: أبي بن كعب (ت20هــ)، وعبد الله بن مسعود (ت32هــ)، وأبو الدرداء عويمر بن زيد (ت32هــ)، وعثمان بن عفان (ت35هــ)، وعلي بن أبي طالب (ت40هــ)، وأبو موسى الأشعري (44هــ)، وزيد بن ثابت (45هــ)، ثم قال عقيب ذلك: " فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرءان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة "[5]

4 ــ التنويه بالمنهج الأمثل والسبيل الأرشد في التلقين، وهو الذي يقوم على أن يكون المقروء المحفوظ ــ وغالبا ما لم يكن يتجاوز الخمس أو العشر ــ حظيا بعناية التفهم والعلم،حفيا بجميل الممارسة والعمل وإليه الإشارة بقول الإمام الخاقاني رحمه الله:

---

[1] – السبعة: 52

[2] – السبعة: 49

[3] – أخرجه البخاري،كتاب فضائل القرآن،رقم الحديث5005.ن.فتح الباري:47/9.

[4] – الانتصار: 64/1

[5] – معرفة القراء الكبار: 39/1

وحكمك بالتحقيق إن كنت آخذا   على أحد ألا تزيد علـــى عشـــر

وقوله:

ومن يقم القرءان كالقدح فلـــيكن   مطيعا لأمر الله في السر والجهـــر[1]

5 ــ قيام الاعتبار للتعدد القرائي منذ العلم بنزول القرءان على الأحرف السبعة، وتلقى الصحابة الكرام أحرف القراءات غضة طرية، كل بحسب منته ومسطاعه، فكانت صدورهم وأفئيدتهم أوعية لأوجه أداء التنزيل، نثت من خلالهم حروفه، وبثت من طريقهم فرشه وأصوله...وكانوا يعتبرون القراءات المدخل إلى تمام الفقه وكمال الفهم، فقد أثر عن أبي الدرداء قوله: " إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها"[2].

6 ــ سن سنة الارتحال في التحمل والإيصال، وقد كان بدء هذه الرحلات بأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان ينفذ بعض صحابه لتعليم القرءان الكريم، فكان أول من قدم المدينة يعلم الأوس والخزرج القرءان في العقبة الأولى مصعب بن عمير [3]، على أن هذا كان دأب الخلفاء أن يرسلوا مع حملات الفتح طائفة من القرأة تعلم الناس ألفاظ الكتاب الكريم وأحكامه...والمتتبع لأخبار الفتح لا يجد العناء في الوقوف على ما يفيد في هذا الأمر ويدل عليه.

7 ــ كان التصدي للإقراء بعد التحصيل، والتصدر للتعليم بعد التعلم وسيلة شريفة أريد بها استكمال طرفي الخيرية المنوه بها في الحديث الصحيح " خيركم من تعلم القرءان وعلمه "[4]، وانبرى لبث المعرفة الأدائية كبار الصحب، ولعل وصف" المقرئ " الذي حلي به الصحابي الجليل مصعب، وإطلاق "دار القراء " على المكان الذي كان يزاول فيه التلقين، يعطي الدلالة الكافية لمكانة التعليم لهذا العهد وشيوعه...

وقد كثر الآخذ عن هذا الرعيل الأول، وأسفرت الممارسة التعليمية عن قيام مدارس قرائية انتهضت لتحقيق البلاغ القرائي فكانت:

- مدرسة المدينة: وعلى رأسها أبي بن كعب وزيد بن ثابت.
- مدرسة مكة: وقارئها هو عبد الله بن السائب المخزومي.
- مدرسة الشام: وإمامها الصحابي عويمر بن زيد الأنصاري المعروف بأبي الدرداء.
- مدرسة البصرة: وعلى رأسها الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري.
- مدرسة الكوفة: وكانت تتسم بوفرة هذا العلم، أخذ أهلها عن علي بن أبي طالب، كما كانت مستقر عبد الله بن مسعود.

---

[1] – البيتان رقم20 و27 من رائية الخاقاني في التجويد.

[2] – الطبقات الكبرى لابن سعد:357/2، ولا شك أن من أبرز وجوه القرآن قراءاته. الانتصار: 89/1

[3] – غاية النهاية: 299/2، تر: 3611

[4] – أخرجه البخاري،كتاب فضائل القرآن،رقم الحديث5027.فتح الباري:74/9.

ولم يكن الصحابة في هذا الأمر شرعا سواء، بل تفاوت أخذهم وتمايز حملهم فيه، كما حظي بعضهم بالأخذ المباشر عن النبي صلى الله عليه وسلم كابن مسعود، وآخرون منهم حملوا عن غيرهم من الصحب كابن عباس رضي الله عنهم... ويهمنا القول هنا بأن الوجوه القرائية قد رسمت سبيلها في التحمل، واستبانت معالمها في الرواية، ويشهد لهذا كون التفرقة كانت لائحة لهذا العهد بين القراءة العامة والقراءة الخاصة التي تنعت بالحروف... وقد تنامى هذا التفريق بعد كتب المصحف العثماني الذي أضحى مخالفه من المقروء شاذا غير معتبر في التعبد.

8_ من وكيد ما ينبغي تسجيله في عهد كرام الصحب أمران لهما بالشأن القرائي وثيق النسب وهما: الجمع القرءاني للمصحف الشريف على عهد الخليفتين العظيمين: أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما.

على أن الأثر الأكبر في مسيرة القراءة القرءانية كان لعمل سيدنا عثمان ؛ حيث لم يرد للصحف الصديقية أن تشيع في المجتمع يتناولها القرأة، وذلك استحضارا للمقصد منها، وهي تحصين الحرف القرءاني وإحرازه وصيانته حتى لا يضيع بضياع حملته. صحيح أن المسألة القرائية لم تكن بمنأى عن الإثارة في شأن هذه الصحف، فهل وقعت على الاستيفاء للأحرف السبعة، أو لم يرد لها تحقيق ذلك... فذهب إلى الأول من رأى أن هذه الأحرف بعض من أبعاض القرءان الكريم، فالإخلال بها إخلال به، وجهد التتبع في هذا الجمع ظاهر في طلب الظفر بمتفقه ومختلفه [1]، ومال إلى الآخر من استبعد إمكان التصور لاستيعاب المكتوب لمتفرق الحروف، وأن ذلك مكفول لتحمل الصدور وموكل بنقل الأفواه، مع عدم النص يشهد لذلك، ومهما يكن، فأثر هذا الأمر لم يكن ليظهر في هذا الجمع، حيث بقيت هذه الصحف محفوظة بشكل فردي كما سبق، يحتكم إليها عند الحاجة، وذلك ماكان، حين جعلت الأصل وكان لها كبار الفضل في الجمع العثماني. هذا الجمع الذي لم يقصد فيه سيدنا عثمان " قصد أبي بكر في جمع نفس القرءان بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لم يجر مجرى ذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه..."[2]. واستحضار ملابسات هذا الجمع وظروف وقوعه المتمثلة في خلاف القرأة، هذا الخلاف الذي وصف أبو مجلز مداه بقوله: " يرحم الله عثمان، لو لم يجمع الناس على قراءة واحدة لقرأ الناس القرءان بالشعر " [3]، بل نظر إليه على أنه قد يفضي إلى اختلاف كاختلاف اليهود والنصارى... إن استحضار هذا الوضع ينتهي بكل

---

[1] - الجميلة: 214 _ 215

[2] - الانتصار: 65/1

[3] - المرشد الوجيز: 7

منصف أن يجهر بكلمة الحق التي قيلت في حق سيدنا عثمان: " وقد وفق لأمر عظيم، ورفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة "[1].

ولا يذهبن عن شريف فهمك أن هذا العمل على جلالته وعظم شأنه لم يكن ليغض من أمر السماع والرواية، كيف وإنما عليها معوله ولولاها لم يجتن مؤمله ؟ وقد أنفذ الخليفة الراشد سيدنا عثمان ــ رضي الله عنه ــ القرأة المتقنين مع المصاحف المبتعثة إلى الأمصار، ولم يكل أمر كلاءتها إلى مجرد المرسوم، وهي إشارة بالغة الدلالة إلى أصالة التلقي في نقل القرءان وقراءاته، وأنه حقيقته الراسخة ووسمه العتيد، ثم اعتبار المكتوب بعد ذلك أصلا ثانيا يرادف الحفظ ويرعاه، ولأجل هذا الملحظ أيضا لم تعتبر موافقة المقرئ لمصحف قطره إلا على سبيل الغالب لا اللزوم[2].

لقد اعتبر الأكثرون أن الجمع العثماني كان فيصلا في التفرقة بين شاذ القراءة ومعتبرها، وإن رأى آخرون أنه إنما كان تأكيدا لما أقرته العرضة الأخيرة...

كان النقل القرائي آخذا سبيله من الدقة والإحكام بعد الصحابة الكرام، وكانت المشافهات تتناقل الوجوه القرائية في وثاقة ومتانة وحصافة،على وفق شرط التلقي، مع اعتبار وتقدير لما سطر في المصحف الإمام " وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم "[3].وقد حفظ لنا الإمام أبو عبيد القاسم أسماء من حكي عنهم التهمم بشأن القراءة لهذا العهد الذي لم يتجاوز القرن الهجري الأول، مصنفا إياهم إلى صنفين اثنين:

الأول: الذي كان دأبه الإقراء بما أقرئ به وتحقيق الرواية المسموعة المفردة، وعدم التعني بما سوى ذلك من تتبع متعدد القراءة...

والآخر: ليس له أسنان الصنف الأول ولا قدمته، وهو" فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال "، غير أنه قد وقع منه التجرد لهذا العلم وتمحض الاعتناء به، مما أثمر النظر في التركة القرائية نظر انتجاب وانتخاب، وفحص وتمحيص، وتوجيه واعتلال...

لقد انطوى هذا العهد ــالقرن الهجري الثانيــ على أكابر عظام من القرأة الراوين الدارين، الذين كانت لهم أنظارهم السديدة واختياراتهم الرشيدة في المأثور القرائي؛ مما ورث المادة المتكاثرة التي كان هؤلاء الأوائل يحسنون فيها صنعا، وتصير عندهم أحسن مآلا ومردا، ولم يكونوا ليضيقوا بها ذرعا لاتساع معارفهم وعظم درايتهم، فكان يبلغ الأمر بالإمام أن لا يرد أحدا قرأ عليه قراءة، لاندراجها في مشمول روايته، ولا يلزم أحدا بقراءته إلا أن يطلب منه ذلك. وإسهامات هذا العهد كانت الوطاءة التي وفرت المادة الزاكية لكثير من

---

[1] – البرهان: 239/1

[2] – ينظر نماذج من هذه المخالفات في مقنع الإمام الداني: 102 وبعدها. كما أن تعدد المصاحف في ذاته لا يعدم الدلالة الكافية على ما ذكرنا.

[3] – النشر: 8/1

تصورات هذا العلم وتصاريف العمل فيه. وهي الإسهامات التي اعتلجت فيها كثير من الاختيارات، وتناضلت فيها سهام الفهوم، واعتركت في ساحتها مآخذ الأنظار، مما أنتج هيآت اجتماعية عديدة في التأليف القرائي، فلم ينجل المشهد فيها بعد عن واقع قرائي مستتب، و لم تتوفر لديها صورة التقعيد والتأصيل على نحو يسير في تيسير الدرس العلمي والعملية التعليمية في هذا الفن... ذلك ما سيتم على يد الإمام أبي بكر ابن مجاهد الذي وجد الوضع على هذا النحو الموصوف، فأداه حسن التدبر لمآلاته أن يجتني من ثمرته، ويعتصر الخلاصة من كسبه، وينظر في متكاثر مرويه، ويوازن بين مراتب حملته، فكان أن اقتصر من أهل الاختيار على السبعة الأخيار...

مرحلة التسبيع (مرحلة التدبير والتقنين)

قال ابن مجاهد كلمة هي الترجمة المبينة عن فحوى عمله وجدواه: "نحن إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا"[1] وهي كلمة تنطوي على عمق فهم ورحابة نظر وعظام فقه، وتدل عند التأمل على أن تسبيعه لا يعدو أن يكون تبطنا لعمل سيدنا عثمان وتفهما لحكمته، واستشرافا لآفاقه ؛ إذ رئي أن بعض الاختيارات القرائية قد تجوز به حدود مرسوم المصحف، وتنكر به لرسومه، وأريد به التحرر من مقتضياته، رجعا لأصول رواية _ زعموا _، أو انتصارا لداعية من هوى أو ابتداع، ووجد منها نوع آخر يوشك إن هو سلم مما سبق أن يساقط في الاستكثار من المروي الذي يتأبى على الضبط، ويعتاص على التحقق من عافيته وسلامة مخرجه، فكان تناميا رابيا من الاختيارات وسيلا عارما من الروايات، انبرى له ابن مجاهد لضبط متفرقه ونخل رصيده وتحرير مادته، وتيسير سبل أخذه واستيعاب محصلته، من خلال شرائط منهجية ومعايير موضوعية _ سطرها في كتابه _كانت صارمة في التمييز بين مراتب حملة القراءات عدالة وضبطا، رواية وفقها،[2] فكان ما كان من أمر اجتباء القرأة السبعة، وكان عمله تجديدا في صورة تحديد، وليس عليه بعد ذلك أن يسمى عمله" قطيعة كبيرة مع الماضي "[3] طالما كان مبتناه على النظر العلمي الوجيه، سالكا المنهج الموضوعي ومعتبرا البعد التعليمي.

قال الإمام علم الدين السخاوي (ت643هـ) في تقويم نظام التسبيع: " واعلم أن أئمة الدين وعلماء المسلمين أجمعوا على قراءة السبعة، حين اعتبروا قراءهم وتدبروا روايتهم، وعلموا ثقتهم وعدالتهم،وإنما سلكوا المحجة العظمى، ونكبوا عن بنيات الطرق، ورفضوا الشاذ، واعتمدوا على الأثر، وهجروا من خالف ذلك، و لم يأخذوا عنه، وتركوا قراءة من كان يرى جواز القراءة بما يجوز في العربية وإن لم يرجع إلى آثار مروية "[4].

---

[1] – السبعة: 24

[2] – ن. مقدمة السبعة:45-46.

[3] – ن. تاريخ القرءان لنولدكه:586

[4] – جمال القراء: 644/2

وعن موجب الاقتصار على خصوص السبعة وملحظ التعليل في اشتهارهم دون غيرهم يقول مكي بن أبي طالب(ت 437 هـــ): "إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف، على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدين وكمال العلم، قد طال عمره، واشتهر أمره، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، فأفردوا من كل مصرٍ وجَّهَ إليه عثمان مصحفاً، إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر: فكان أبو عمرو من أهل البصرة... ولم يترك الناس مع هذا نقل ما كان عليه أئمة هؤلاء من الاختلاف، ولا القراءة بذلك ".[1]

وقد كان لمرحلة التسبيع كبير الأثر في مسيرة هذا العلم واستقرار أعرافه ونضج معارفه...

صحيح أن هذا الاقتصار من ابن مجاهد على القرأة السبعة لا يعدو أن يكون أيضا اختيارا، ولكنه اختيار اقتصار لا اختيار استكثار، وقد جر عليه ذلك بعض الملامة والعتب، حين ورث ذلك من الإيهام أن غير سبعته مطرحة من جهة التقبل والاعتبار، وظن من فرط ذلك أن سبعته هي المعنية في حديث الأحرف السبعة. والحق أن عمل ابن مجاهد كان من خلوص القصد وسداد المنهج ووضوح الرؤية، ما تتهافت دونه مثل هذه المؤاخذات عليه... وقد فهم أولوا الفهم بعد أن " ليست هذه الروايات (السبعية) بأصل في التعيين، بل ربما خرج عنها ما هو مثلها أو فوقها كحروف أبي جعفر المدني، فإنها فوق حروف عبد الله بن كثير المكي..."[2].

ولنا أن نقول بعد ذلك: لقد ترك ابن مجاهد أثرين طيبين حميدين تنشآ من جهتي المواطأة والمناكرة لصنيعه:

الأول: السير على منهاج سبعته أداء وتأليفا، وشرحها توجيها واعتلالا.

الثاني: انتهاج سنة التثمين والتعشير والتخميس والتفريد..مخالفة للوضع التسبيعي، فتحقق بكلا الصنيعين مرجو الفائدة المبتغاة، وكتب للتركة القرائية الانتشار والذيوع على الأنحاء المختلفة من التصنيف.

مرحلة ما بعد التسبيع [مرحلة التدوين وعهد النضج والعطاء]

سبق لنا أن تسبيع ابن مجاهد التميمي كان جهدا حاسما جريئا في هذه المرحلة، بما كان له من الأثر البعيد في أطوار هذا العلم وتقلباته، وفي أسلوبه وموضوعه، ليستقر منهجا لازبا مستتبا، فظهر مصطلح القراء السبعة، وانطلق التبحث والتفتيش بعد في قراءاتهم ورواياتهم: جمعا وتقريرا، وبسطا وتأليفا،وتلخيصا وتخليصا، وتعليما وتلقينا، وبحثا وتعليلا، وجمعا وإفرادا... إلى أن انتهى الاحتفاء بهذه القراءات إلى درس نضيج، وتناول علمي متين، ورسوخ في التأليف مكين، وانتهض لهذا الأمر جلة من القراء المتصدرين، أقاموا بفضل جهودهم

---

[1] – الإبانة: 63-64

[2] – القبس والمنجد: 109 واللطائف: 77/1

مدارس قرائية رائدة،إليها يرجع الأمر في صياغة حقائق هذا العلم وضبط مسالكه وتحرير مسائله، فكانت المدرسة المصرية و الأندلسية والقيروانية والمغربية، التي يتعذر في هذه الورقات العرض المجمل لتاريخها والتعريف بها والنظر في امتداداتها وما إلى ذلك من أمرها[1]، ولمعت في سماء الدرس القرائي أسماء كبيرة، نذكر منها: أبا بكر أحمد بن الحسين ابن مهران الأصبهاني (ت381هـــ)، و أبا الحسن بن غلبون(ت399هـــ) وأبا معشر الطبري(ت477هـــ)، ومكي بن أبي طالب (437هـــ)،وأحمد بن عمار المهدوي(440هـــ) وأبا الحسن الحصري (488هـــ)، وأبا عبد الله بن شريح (537هـــ)وأبا جعفر بن الباذش... وغيرهم كثير أثير.

غير أنه يستوقفنا كما استوقف غيرنا في القرن الهجري الخامس إمام رائد خطير وحافظ نادر النظير في الصنعة القرائية هو الإمام أبو عمرو الداني الذي ألقى إليه هذا العلم عجره وبجره،وكانت له فيه الريادة الكبيرة والإمامة العظيمة، وكانت اختياراته الأدائية، وتحريراته الدقيقة، ومؤلفاته العظيمة، وبراعته العالية في تذليل الحقائق القرائية نظما ونثرا... كلها منارات ودلائل باهرة على علو مكانته وسمو مقامه ورسوخ كعبه، إلى الحد الذي اعتبر معه المؤسس لهذا العلم، وقد أجمل المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون الخبر عن ذلك حين قال:

" فظهر... أبو عمرو الداني وبلغ الغاية فيه، ووقفت عليه معرفتها، وانتهت إلى روايته أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعول الناس عليها، وعدلوا عن غيرها"[2]

ثم كان ظهور الإمام الشاطبي رحمه الله (ت590هـــ) في نهاية القرن السادس إيذانا بترسيخ عطاءات المدرسة الدانية على مواقع الوجود، حين ضمن قصيدته العصماء اختياراتها، فسارت بها الركبان، وحفظها الناس ولهجوا بها، واعتبرت أحسن كتب الخلاف، وأضحت عمدة القراء، بل بلغ الأمر إلى أن "كاد الناس لم يثبتوا قرءانا إلا ما في الشاطبية والتيسير "[3]، وما زال هذان المصدران بمحل من هذا التقدير، حتى أدغم فيهما غيرهما من المصادر إدغاما كاملا، واعتبرا إلى اليوم المقرر الدراسي المعتمد في هذا الفن.

ثم ظهر بعد حين من الدهر _ القرن الهجري الثامن _ المحقق ابن الجزري (ت833هـــ) الذي أعطي لهذا العلم صورته التي استقر عليها أخيرا ؛ إذ جرى على العرف التسبيعي، وأضاف إليه قراءات ثلاث في تحبيره، بعد أن انتصر لها في منجده، لتتسع طرق عشره في نشره، ويصبح الكتاب الذي إليه المنتهى في تحصيل هذا العلم الشريف، واجتلاء حقائقه، وتحرير مسائله ؛ فقد اضطلع فيه بالعبء الثقيل وبذل فيه البذل العظيم ؛ إذ قام بـــ" التعريف بصحيح القراءات، والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات، وعمد إلى ما إليه من قراءاتهم، وأوثق ما صح لديه من رواياتهم، من الأئمة العشرة قراء الأمصار، والمقتدى بهم في سالف الأعصار، واقتصر عن كل إمام براويين، وعن كل راو بطريقين، وعن كل طريق بطريقين: مغربية ومشرقية، مصرية وعراقية، مع ما يتصل إليهم من الطرق، ويتشعب عنهم من الفرق... لم يدع عن هؤلاء الثقات الأثبات

---

[1] – ن. للفائدة قراءة الإمام نافع للدكتور عبد الهادي حميتو.

[2] – المقدمة:933/3

[3] – النشر:54/1

حرفا إلا ذكره، ولا خلفا إلا أثبته، ولا إشكالا إلا بينه وأوضحه، ولا بعيدا إلا قربه، ولا مفرقا إلا جمعه ورتبه، منبها على ما صح عنهم وشذ، وما انفرد به منفرد وفذ، ملتزما للتحرير والتصحيح، والتضعيف والترجيح، معتبرا للمتابعات والشواهد، رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد... وانفرد بالإتقان والتحرير، واشتمل جزء منه على كل ما في الشاطبية والتيسير "[1]. ثم إنه قال بعد عرض أسانيده من طرقه، منوها بدقة شرطه والتزامه الذي لم يقع لغيره:" وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحو ألف طريق، وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه، لم نذكر فيها إلا من ثبت عندنا أو عند من تقدمنا من أئمتنا عدالته، وتحقق لقيه لمن أخذ عنه وصحت معاصرته، وهذا التزام لم يقع لغيرنا ممن ألف في هذا العلم "[2] ولم يملك بعد أن تبين له معجب عمله ومبهر نجيزه أن صاح في غير تباه ولا فخر: " ومن زعم أن هذا العلم قد مات قيل له حيي بالنشر"[3].

وكل الذين أتوا من بعده إنما كانوا عالة عليه، وناظرين في عمله نظر شرح وتبيين، وجمع وتفريد، وتقرير وتحرير...

على أن هذا كله لم يمنع أن تبقى للسبع سطوتها وهيمنتها، حتى بعد شهرة عشر ابن الجزري في الأعصر المتأخرة، قال الصفاقسي في تعليل الاقتصار على السبع في غيثه: " لأن الغالب على أهل هذا الزمان اقتصارهم على ذلك "[4]

ثم إن هذه القراءات السبع على مهيع الإمام أبي عمرو الداني ستنال من الحظوة ما يقع به الإثخان لرواياتها، والتغلل في وجوهها وخلافاتها في أصولها وفرشها، وما إلى ذلك من صور الترجيح والتشهير والتصدير في مسالك مادتها ومراتب نقلها، ما يمكن تتبعه في مدارسه الشهيرة التي قامت بالأندلس وإفريقية، وستظهر بعض الأسماء التي تصبح عنوانا للدرس القرائي لما قدمته من الأيادي والإسهام، ونذكر منهم على سبيل المثال: ابن القصاب (ت690هـ) وابن آجروم (ت723هـ) وأبا الحسن القرطبي وابن بري(ت730هـ)، والخراز و أبا عبد الله الصفار وأبا عبد الله القيسي، وأبا عبد الله النيجي الشهير بالصغير (ت887هـ) الذي كان يقال فيه: " إن أسانيد عامة أهل المغرب في السبع والعشر من طريقه[5]، وابن غازي، وعبد الرحمن بن القاضي، وأبا العلاء المنجرة، ومحمد بن عبد السلام الفاسي... وما منهم إلا إمام مدرسته، وشيخ جماعته، وحافظ وقته، ومحقق زمنه.

---

[1] - النشر: 54/1 و 56-57

[2] - النشر: 192/1 -192

[3] - النشر 57/1

[4] - غيث النفع: 8

[5] - ن. القراء والقراءات بالمغرب: 63

ولابد من الإشارة إلى أن المقرأ النافعي دون سواه قد ناله من الجهد في خدمته والقيام عليه، والإثخان في درس شعبه ومسالكه الروائية من لدن المدارس المغربية منذ المائة السابعة، ما أعطى للمدرسة المغربية ميسما خاصا وطرازا معينا أضحت إثره المرجع في هذه الرواية وموئلها إلى اليوم.

لقد كانت مسيرة تلقي هذا العلم وفضاؤه الرحيب في الأخذ والحمل يترسم السبل المسنونة في ذلك، ويتوسل بما يضمن له الإفضاء إلى حسن التمام والانتهاء منه إلى كمال المرام، فكانت الرحلة أحد المطالب المألوفة والسنن الناهجة، يتطلب بها استكمال الثقافة القرائية، واستيفاء جوانبها المعرفية، والإتيان على مطالبها المنيفة...وتكفي مطالعة يسيرة لتراجم القراء لتبلغ الغاية في إفادة هذا الأمر... وربما ضرب المثل ببعض القراء في شد رحال الطلب، والضرب في الأرض لارتشاف الضرب، كما هو شأن الإمام أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت465هـ) الذي يقول عنه الحافظ ابن الجزري:"وطاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ "[1]. بل إن التلاقح الذي حصل بين مختلف الأقطار وما أدى إليه من تنامي الخبرة وتقليب وجوه النظر في هذا الأمر، وما أثمره من تكاثر في وجوه الرواية مع حسن التدبير لمادتها الدسمة، كل أولئك ما كان ليتم لولا رحلة القرأة من القيروان إلى الأندلس، ومن الأندلس إلى مصر، ومن المغرب إلى المشرق...

كما كان دأب علماء هذا الشأن في إقامة منابره على سنة التلقي والإلقاء، وبث معارفه في محافل القراءة والإقراء، وبالغ علماؤه في الاجتهاد واستفراغ الوسع، فكانوا يحبسون أنفسهم الدهر المديد لإقراء القرءان وقراءاته، وحسبك وأنت تقرأ ترجمة شيخ الصنعة ومسبع السبعة قول ابن الجزري في حقه:" ولا أعلم أحدا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه... "[2].

و"كان في حلقته ثلاثمائة متصدر، وله أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس قبل أن يقرأوا عليه"[3]. ويكفيك الورود العابر لتراجم القراء لتصدر عنها مرتويا بالاصطلاحات والعبارات التي تفحم في هذا المعنى كمثل قولهم:" كان حسن التأدية " [4] و" كان حسن الإقراء، حسن الأخذ "، و" حمل الناس عنه الكثير"[5]، و"ازدحم عليه الحذاق لعلو سنده وسعة علمه "[6]، ولعل بيت الإمام الحصري الشهير:

قرأت عليه السبع تسعين ختمـــة بدأت ابن عشر ثم أتممت في عشر

---

[1] - الغاية: رقم الترجمة 3929

[2] - الغاية: 142/1

[3] - النشر: 122/1.

[4] - الغاية:6/2.

[5] - طبقات القراء: 245/1

[6] - السابق.

يفي بالإقناع بما كانوا يحتملونه من الصبر الجميل _ في حمله وتحميله _ويتسمون به من الهمة العالية والإرادة القوية والعزيمة الحذاء...

إن ما سبق يعطي الدلالة على ماكان عليه الإقراء من متانة في التعلم، وإحكام في الأخذ، وإتقان في التحمل والأداء، وأن هذا العلم لم يزل منذ العهد الأول شائع النقل ذائع الاستفاضة، محكوما بأخذ الآخر عن الأول، وإن مطالعة الكتب التي تؤرخ لدور القرءان التي عنيت بنشر القراءات لتفيد كثيرا في أن التلقي القرائي لم يزل بهذا السبيل من الإسهام المثمر والتواصل المتوارث والأخذوالعطاء، بما يشهد لأئمة القراءة بالبذل الواسع والجهد البالغ[1]. كما أن الوقفة المكيثة عند بعض المؤلفات التي اعتنت بالمكاتب القرءانية وتوصيف طرائق التعليم فيها تنتج كثير الفوائد في شؤون المسألة التعليمية وقضاياها العلمية والمنهجية.[2]

التأليف القرائي(جهد الحفظ في السطر)

بين يدي التأليف القرائي

ليست العلوم إلا معاني التأليف، وإن مكانة التصنيف في ترسيخ حقائق العلوم، والذهاب بها مذهب الإبانة عن قضاياها والكشف عن معانيها ومعارفها معروف مألوف، وإذا كان اهتمام القراء بالسماع والرواية يفوق كل اهتمام، فإن اعتناءهم بالتأليف لم يكن يقل عن ذلك، فقد جعلوا النص رديف الأداء، واعتبروه أصلا ثانيا تعتضد به المشافهة وينحاز إلى حيزها عند الاقتضاء، وعباراتهم التي تتردد في هذا المعنى ذات دلالة على ذلك، من مثل قولهم: " حسن التصنيف"[3]، "صاحب التصانيف"[4]، " كتبه في غاية الحسن والإتقان "[5]، " وصنف التصانيف البديعة "[6] وما إليها من العبارات.وإن كلمة أهل التدوين التي تقال في مقاصد التصنيف وأربابه ومراتبه وما إلى ذلك من أمره، تبسط أجنحتها للتصنيف القرائي، ولاترى خصوصياته خارجة عنها إلا لتدخل بصورة هي أهدى سبيلا وأقوم قيلا. فالقول بأن أرباب الكتب المبتدأة في هذا العلم سباقون إلى ضروب من النظر والمعاني، وأن المتقدمين من المؤلفين أقعد من المتأخرين، فنصوصهم فصوص ثمينة وأعلاق نفيسة ؛ وهي لذلك أحرى بالتحري... قول يصدق _رحيبا_ على التأليف القرائي وأهله. ولن يرى المصنف

---

[1] – ن. مثلا: دور القرءان في دمشق لعبد القادر النعيمي، تصحيح وتعليق د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،ط3 1982.

[2] – مثل:"آداب المعلمين" لسحنون، وكتاب " المعلمين والمتعلمين" لأبي الحسن القابسي (ت403هـ)، و" آداب المعلمين " لابن العربي المعافري (ت543هـ). ومن الدراسات المعاصرة مهارات التدريس في الحلقات القرءانية للدكتور علي بن إبراهيم الزهراني. ط. دار ابن عفان.

[3] – الغاية: 184/2

[4] – الغاية: 128/2

[5] – طبقات القراء: 419/1

[6] – السابق.

في هذا العلم إلا مستمعا خاشعا لما قرروه من أن ليس للمؤلف في سعيه أن يخرج عن مقاصد التأليف المرسومة التي اعتصرت خلاصتها في غرضين: اختراع معنى، أو ابتداع وصف ومبنى.[1] وقد نص أهل هذا الفن خصوصا لمن أراد التصنيف فيه " أن يبدأ بما يعم النفع به، وتكثر الحاجة إليه – بعد تصحيح النية _ والأولى أن يكون شيئا لم يسبق إلى مثله "[2]. وإذا كان اختراع المعاني وابتداع بنات الأفكار غالبا ما يكون من نصيب الأوائل السابقين، فقد تهيأ للمتأخرين أن يكون لهم من ابتداع أوصاف التصنيف والتنوع في طرائق مبانيه ما استجابوا به للمصلحة وحققوا به جميل الفائدة وجليل العائدة.

وربما كان القرن الهجري الرابع العهد الذي تكاثرت علومه وتوزعت معارفه، فكان الاختصار لونا تأليفيا يقي معرة تفلت المعلوم، ويفي بغرض جمع شمله واستيعاب محصلته، وقد رأوا أن يصحب الاختصار تهذيب وتنقيح وإضافة،وهو الأمر الذي آل بالتصنيف إلى وضع يفتقر معه إلى الشرح يخرج الضنين ويثور الكنين ويستخرج الدفين...[3]

وإذا كان من كلمة تضاف في شأن التأليف القرائي، فهي أن مصنفاته المسندة اعتبرت أصولا لهذا العلم وطرقا له، فنصوص كتبه مرعية بالاستحضار، ومأخوذة بالاعتبار، ومروية بالاستظهار؛ وطالب هذا العلم _ على سبيل الجمع _مطالب بإلحاح" أن يحفظ كتابا مشتملا على ما يقرئ به من القراءات أصولا وفرشا"[4]،ولكن " ليس له أن يقرئ بذلك الكتاب إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة "[5].

فكان هذا التوازن المنسجم بين الملفوظ والمدون، والنص والأداء، في تآخ متين وترابط شديد. ولا مكان هنا لحديث بعضهم عن التنافس القلق للدرس الشفوي مع النص المكتوب[6].

كما كان التأليف القرائي موضعا للاستجابة الواقعية للحالة التعليمية [7]، وهذا ما قد يلمس في كثير من تصديرات المؤلفات القرائية في عباراتها التي كادت تتكرر: "فإنكم سألتوني أن..." وماشابهها من العبارات[8] بل منها ما يمكن اعتباره تواليف نوازلية تتزل إلى واقعها بنية النصح والتصحيح والترشيد[9].

وفيما يلي عرض موجز جدا لمعالم التأليف القرائي في مجمل مسيرته التاريخية:

---

[1] – عارضة الأحوذي:1/

[2] – المنجد: 69

[3] – ن. أليس الصبح بقريب: 160

[4] – منجد المقرئين:52

[5] – المصدر نفسه: 49

[6] – تاريخ القرءان: 581

[7] – وكتاب السبعة من أفضل الأمثلة على ذلك.

[8] – ن. مثلا:جامع البيان: 74/1، وتبصرة مكي: 172، وتبصرة أبي الحسن الخياط: 1، والمبسوط: 7. والروضة:109/1...

[9] – ورسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ ليوسف أفندي زاده، وغيرهما كثير. – ن.مثلا: ترتيب الأداء لأبي الحسن القرطبي.

فجر التأليف القرائي

تصدت طائفة من كتبة الوحي لتدوين حرف التنزيل وتعاونت في إقامة رسمه، بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، من أول النازل الكريم إلى نهايته[1]. ولئن لم يمكن القطع بالهيئة القرائية في الأوضاع الهجائية النبوية، وفي الصحف الصديقية، فإنه ليس من الجزاف أن يقال بأن القراءات القرءانية قد عرفت سبيل التسطير، وواقعت هجاء التصوير في المصحف الإمام، على أن ذلك قد لا تستفاد دلالته من فسحة النسخة الواحدة المجردة النقط والشكل ؛ إذ لا يقطع على معين مقروئها، وإنما يلحظ التدوين القرائي في هذا المصحف فيما وقع فيه من زيادة بعض الأحرف أو إبدالها مما استوجب تعدد المصاحف، فذلك أول التدوين القرائي وباكورته.

وفي سياق تسجيل الأوليات في مجال تدوين القراءات تذكر بعض الأسماء البارزة، كأبان بن تغلب الكوفي (ت141هـ)[2]، ومقاتل بن سليمان (ت150هـ)،وأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت255هـ)[3]، وربما ذكر شخص متقدم على أولئك في هذا السياق هو يحيى بن يعمر(ت90هـ) الذي يرتبط اسمه بنقط المصحف، تذكر بعض المصادر[4] أن له كتابا في القراءات... وفي لحظ العلاقة بين هذين العملين يعجبني قول من قال: " كأن يحيى [بن يعمر] أحس بأن النقط والشكل يمنعان من بقية القراءات مع أن المنع لا يصح لأحد أن يجترئ عليه.. فأراد أن يؤدي ما عليه، ويدل على أن النقط والشكل ليس إلغاء و لا منعا لبقية القراءات، ولكنه لوظيفة أخرى، فألف إثر ذلك كتابا في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط..." [5].

ثم تتابع التأليف على أنحاء من التصنيف: ومن الرجم بالظن أن يوصف واقع التصنيف الأول ؛ حيث لم يوقف على مغيبه، وقد تذكر في هذا الشأن إشارات مجملة لا تنهض بالوصف العلمي، ولا تفي بالتعريف الكافي... كأن يقال مثلا بأن فلانا جمع في مؤلفه أعدادا من القراءات مع تسمية أصحابها كـ" قراءة نافع وحمزة" لعبد الصمد أبي الأزهر العتقي (ت231هـ)[6]، ولعل ذلك يكون أدق حين يذكر مروي المقرإ كـ "قراءة ابن كثير برواية البزي وقنبل " لأبي ربيعة محمد بن إسحاق المكي (ت294هـ)[7]، أو دون ذلك

---

[1] – يمكن مطالعة مصادر علوم القرءان في الموضوع، وكتب الرسم والمصادر التي أفردت كتبة الوحي بالتأليف.

[2] – الفهرست: 1/1: 91

[3] – الفهرست:1/91:1

[4] – ن. مقدمتان: 275، ويبدي بعض الباحثين ريبة تمتد إلى الاعتراض على هذه الأولية.[ن.القراءات وأثرها في التفسير...:}(197/1 -198) ويبقى الأمر لابسا ثوب الاحتمال، غير أني أجد المعنى المذكور الذي وجه به هذا العمل يعطي ذوقا خاصا لثبوته. مع أن الاعتراض قد يعارض.

[5] – القراءات والقرءان: 123/1

[6] – غاية 23/1، تر: 97

[7] – غاية: 99/2، تر: 2849

كـــ"كتاب القراءات" لأبي حاتم السجستاني،سهل بن محمد (ت255هـــ)[1]، كما قد يرد العنوان بلفظ غير مفهم لما تحته إلا على سبيل الإجمال، كـــ"الجامع في القراءات" فلا يدرى مقدار هذا المجموع وحدوده، أو " المجرد "[2]، فلا يوقف على مقتصر التأليف ومجرده، ولعل التسمية بـــ" الحروف " مما عهد في هذه العهود مطلقا أو مقيدا كـــ " كتاب الحروف " للرشديني أبي الربيع سليمان بن داود المهري المصري (ت253هـــ)[3]، أو " حروف المكيين " لابن فليح بن رياح المكي (تقريبا 250هـــ)[4]، كما كانت عبارة " النسخة " مما وسم بها بعض التأليف في هذه الأعصر، كنسخة جرير بن عبد الحميد الضبي (ت187هـــ)[5]، ونسخة عتبة بن حماد الحكمي (ت200هـــ)[6]

على أنه يذكر في هذا الشأن ما قد يفيد المتتبع لمسيرة التأليف في هذا العلم، فقد نصوا على أن أول من ألف في الشاذ وبحث عن إسنادها هو هارون بن موسى (ت قبل 200هـــ)[7]، كما يلفت الباحث في هذا الموضوع عبارات لا تخلو من دلالة، مما يجعل الوقوف عندها أمرا مطلوبا، « فأول إمام معتبر ألف في القراءات هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـــ) ذكر مع السبعة خمسة وعشرين قارئا »[8]. فلعل ملحظ الاعتبار في هذه الأولية إنما هو في قيام التاليف على صورة من التفصيل والترتيب والتبويب الذي تعرى عنه أوليات التأليف في مجرى العادة. ثم إنك واجد بعد ذلك أن ممن أسهم في التأليف في هذا الفن من هم من القراء السبعة والعشرة مثل: حمزة بن حبيب الزيات (ت156هـــ)[9] و الكسائي (ت189هـــ) [10] وخلف البزار (229هـــ)[11]، أو من رواهم كقالون [12]، كما قد تكون العبارة مكتنفة بما لا يذهب بها مذهب القطع على مضمنها، فقد جاء في سيرة أبي عمر الدوري (246هـــ) أنه " أول من جمع القراءات " [13]، فما كانت طبيعة

---

[1] – غاية (320/1)، تر: 1403. وفيه: " وأحسبه أول من صنف في القراءات".

[2] – وللطبري المفسر (310هـــ) "الجامع "، وقد ذكروا أنه جمع فيه نيفا وعشرين قراءة. ن. كشف الظنون 1449/2 الجامع والمجرد لمحمد بن سعدان الضرير الكوفي (ت231هـــ). ن. غاية: 143/2، تر: 3019

[3] – غاية: 313/1(1376)

[4] – غاية 222/2

[5] – غاية: 190/1(874)

[6] – غاية 498/1 (2074)

[7] – ويقف بعض الباحثين من هذا السبق موقف الارتياب ثبوتا ودلالة.ن. تاريخ القرءان للدكتور عبد الصبور شاهين: 218 _ 219. - ترجمته في الغاية: 384/2

[8] – النشر:33/1و34

[9] – الغاية: 261/1- 263 (1190)

[10] – الغاية: 530/1

[11] – الفهرست: 53

[12] – له كتاب في قراءة نافع ,غاية:615/1( )

[13] – غاية: 255/1 والنشر:134/1 ون. والجزء الذي له في قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مطبوع متداول بتحقيق حكمت بشير ياسين،مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط1 1988م.

هذا الجمع ؟ وهل كان مجرد تسجيل للمروي أوتسطير لمختار القارئ ؟، وإلى أي حد بلغ من النضج المنهجي وما هو وسم الصنعة القرائية فيه ؟...هذا وسواه مما لايملك أن يجاب عنه بالكلمة العلمية العالمة...

[وجوه التأليف]أنماط التدوين بعد ابن مجاهد:

سجل ابن مجاهد السبق البعيد حين اقتصر على سبعة من القراء، وجرى في منهج التأليف القرائي على رسم معين ، وليس من شك في أنه وجد ميدان التأليف قد اتضحت معالمه وجادت مكارمه، وأنه أفاد من ذلك ما وسعته الإفادة، غير أن تأليفه انماز بوضعه الاقتصاري على السبعة، ليرسم بذلك منهجا استن به الكثيرون بعده، واعتبر بموجبه معلما بارزا في مجال التصنيف القرائي. ثم حمي التأليف بعده وتتابع على حد تنوع مجالات الأخذ وتعدد محافل التلقي، وتكاثر مدارس الإقراء، واختلاف أغراض التأليف، مع سني المقصد ورضي المذهب، وأصاب المادة القرائية_ رواية ودراية _ كريم الاعتناء ووفير الاغتناء، فكانت أجناسا وأفنانا، وأنواعا وألوانا، ذللت قطوفها بمتيع النظم، ونثرت دررها على جميل الترصيع، وتيممت قصود التأليف كافة: استبدادا وشرحا، بسطا واختصارا، تنبيها واستدراكا وافترعت لها المناهج السديدة، وأنهجت فيها الطرائق العديدة. وقبل أن نعرض لهذه الأنماط التأليفية نرى أن نمهد بالكلمة المجملة عن خط التأليف منذ القرن الهجري الرابع كما تتبعها مؤرخوا هذا العلم في اقتضاب وشدة إيجاز:

كان التأليف القرائي في القرن الهجري الرابع بالغا مبلغه من التأصيل والاستواء، وتهجم على الأسماع أسماء المصنفين فيه مثل: ابن جني (ت392هـ)والدارقطني (ت385هـ) وأبي جعفر الطبري (ت310هـ) وابن خالويه (ت370هـ) صاحب " البديع في القراءات السبع "، وفي القرن الخامس: صنف أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ن408هـ) كتابه الجامع " المنتهى في القراءات الخمسة عشر"، وألف أبو عمرو الداني كتبه الماتعة النافعة في هذا العلم، وكان مكي بن أبي طالب أحد الأئمة الكبار الذين أثروا المكتبة القرائية بمؤلفاتهم الجليلة،وبرز بعده أعلام أنلسيون كثر، منهم: أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري (ت455هـ) صاحب العنوان في القراءات السبع [1]، ومحمد بن شريح (ت476هـ) مؤلف الكافي، ثم انحسرت حركته ابتداء من القرن السادس حتى الثامن، وممن ذاع صيته في القرن السادس الإمام الهمداني صاحب الغاية [2]، وأبو العز القلانسي (ت521هـ) صاحب " إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي " في القراءات العشر [3]، وأبو علي حسن الشهير بابن بليمة (ت514هـ) صاحب " تلخيص العبارات في القراءات "، وكان للإمام أبي جعفر أحمد بن علي الشهير بابن الباذش (ت540هـ) يد سابغة وإسهام بين في كتابه المتين " الإقناع في القراءات السبع" [4]،

---

[1] – طبع في بيروت 1986 ط2، بتحقيق زهير زاهد وخليل عطية.

[2] – قال ابن الجزري " وعندي أنه في المشارقة كأبي عمرو الداني في المغاربة.." غاية: 204/1

[3] – طبع بتحقيق عمر حمدان الكبيسي،ط1 المكتبة الفيصلية بمكة.

[4] – من مطبوعات حامعة أم القرى.

أما الإمام الشاطبي (ت590هـ) فكان العلم على الفن، وكان حرزه العمدة فيه. وفي القرن السابع سطع نجم ثلة من الأكابر مثل أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت643هـ) شارح الشاطبية الأول[1]، وتلميذه الشيخ أبي شامة عبد الرحمن المقدسي (ت665هـ) صاحب " إبراز المعاني من حرز الأماني "، ويطلع بدر القرن الثامن بطلعة مثل الإمام المحقق برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (732هـ) صاحب كنز المعاني ونهج الدماثة وغيرها، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصفار (ت761هـ)

وفي أثناء القرن الثامن سيظهر محرر الفن ابن الجزري فيرد على هذا العلم حيويته بتحبيره ونشره وطيبته، وكل من أتى بعده إنما نهج نهجه وجرى على شرطه، كالإمام القسطلاني الذي ألف معلمته القرائية "لطائف الإشارات"، وجعله جامعا لشوارد فرائد علم القراءات، شاملا لزوائد فوائده، وافيا بنشر طرقه ورواياته، كافيا في إعراب وجوه قراءاته.

كما ألف بعده أحمد البنا الدمياطي كتابه المفيد النافع: "إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر" المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات"[2].

لا بد من الإشارة في هذا السياق أنه في حدود أوائل القرن السابع كان للشخصية المغربية بروز وشفوف، فلمعت أسماء من قبيل: أبي عبد الله محمد بن الحسن الفاسي (ت656هـ)، وأبي الحكم مالك بن المرحل السبتي (699هـ)، وأبي عبد الله محمد الشهير بابن آجروم (ت 723هـ) وأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي (ت730هـ) وغيرهم.

وفي القرن التاسع كان أبو عبد الله محمد بن أحمد العثماني الشهير بابن غازي إمام وقته ورائد مدرسته، وظهرت فيما بعد_ العصر العلوي_ مدارس قائمة مثل مدرسة ابن القاضي المكناسي (1082هـ)، ومدرسة أبي العلاء المنجرة (1137هـ)، ومدرسة محمد بن عبد السلام الفاسي (1214هـ)

وفيما يلي عرض ينظر إلى بعض الآثار التصنيفية على استحياء، وقد ضاق صدره ولم ينطلق لسانه إلا نطقا بالقصور الذريع عن توصيف جهد التأليف، والعجز عن استيعاب ما لاح من معالمه وملحوب سبيله، فضلا عن الاجتراء على إجراء كلمة التقويم والتقدير في شأنه...

طرائق التأليف الجمعي والتفريدي

سبق القول أن التسبيع أدى إلى نمطين من التأليف:

الأول: يجري على تقرير العرف المجاهدي وإغنائه شرحا وتوجيها، وتوجيه ما شذ عنه من المقارئ.

والثاني: انتشار منهج التفريد والتسديس والتثمين والتعشير، لإزالة الشبهة التي علقت بالأذهان من ترادف سبعة ابن مجاهد للأحرف السبعة.

---

[1] – وقد طبع بعنوان " فتح الوصيد في شرح القصيد ".

[2] – تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. عالم الكتب- بيروت ط 1 1987 م. وحققه قبله الشيخ محمد علي الضباع,

فأما ما جرى على التسبيع، فكان المنهج الشهير المستتب، وقد ألف فيه الكثيرون، غير أن الذي غلب عليه، وأسلس له زمامه هوالإمام أبو عمرو الداني،فكان كل القراء بعده كلا عليه، وقد وقر في الناس أن كتابه التيسير " كتاب معدوم النظير، للتحقيق الذي اختص به والتحرير، فحقائقه لائحة كفلق الصباح، وجواده متضحة غاية الاتضاح "[1] وكان ممن عرف قدره ولزم غرزه الإمام الشاطبي رحمه الله الذي سبك سبكه العجيب حتى قال في حقها محقق الفن: " ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن ، فإني لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة منه... ولقد بالغ الناس في التغالي فيها، وأخذ أقوالها مسلمة، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما، حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم... " ولما للحرز من من الأهمية والفضل، وكون التيسير لها هو الأصل، فقد آل الأمر إلى اعتمادها إلى اليوم مصدر القراءة ومعتمد الإقراء، و قام حولها نشاط عريض في المشرق والمغرب، وحق فيها ما قيل في حق مقدمة ابن الصلاح " فلا يحصى... ".وشاع التسبيع بعدهما وذاع، فكان السمة الغالبة على التأليف... ووجدنا من مؤلفي القرن الثامن من أمثال أبي عبد الله الحكري (ت781هـ) من يقول: "...علم القراءات، والمشهور فيها الآن السبعة المتواترة المشهورة في أمصار المسلمين، وفيها من الكتب مصنفات لا يحصي كثرتها كثير من الطالبين "

أسلوب التفريد

وهو أسلوب يفرد بالعناية في مختلف صورها التأليفية القراءة أو الرواية أو الطريق على سبيل العرض الكامل أو بالاقتصار على ما ما خالفت فيه سميتها، وقدكان ابن مجاهد ممن رسم سبيله في مؤلفه قراءة ابن كثير لابن مجاهد (ت324هـ) [2] مع الإيقان أنه مسبوق إلى هذا اللون من التأليف ممن سبقه، فمما يذكر في هذا اللون قبله:

- كتاب قراءة حمزة، لحمزة الزيات (ت156هـ)3، و قراءة نافع، لابن الطبري (ت248هـ)4 وغيرهما، وألف فيه عصريه محمد بن أحمد الشهير بابن شنبوذ (ت328هـ)[5] "ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو". ثم توالى هذا النمط في كثرة وذيوع، ومن أمثلته إلى ماسبق هذه العناوين [6]:
- مفردة عاصم لمحمد بن أحمد بن عبد الوهاب أبي بكر السلمي الأصبهاني (355هـ)[1].

---

[1] – فتح الوصيد:5/1.

[2] – الفهرست: 1/1: 81

[3] – الغاية: 330/1

[4] – الغاية: 62/1

[5] – الفهرست: 1/1: 83

[6] – ن. مقدمة مفردة الكسائي: 42 وبعدها، فقد بذل فيه الدكتور الفاضل جهدا مشكورا في تتبع المفردات وبلغ بعدها إلى أكثر من 330 مصنفا في غير ادعاء للحصر.

- رواية ورش للأذفوي أبي بكر محمد بن علي المصري (ت388هـــ)[2].
- الاختلاف بين ابن كثير وأبي عمرو للشاهد غلام ابن مجاهد، طلحة بن محمد بن جعفر البغدادي(ت380هـــ)[3].
- مفردة يعقوب لأبي عمرو الداني (ت 444هـــ)[4].
- مفردات القراء لأبي علي الحسن الأهوازي (ن446هـــ)[5].
- رواية أبي عمرو بن العلاء لأبي القاسم أحمد بن جعفر الغافقي (ت569هـــ)[6].
- مفردات القراء لجعفر بن علي،أبي الفضل الهمذاني (ت636هـــ)[7].
- المفردات لجعفر بن مكي الموصلي (ت713هـــ)[8].

ومما لقي العناية الشديدة على سبيل التفريد حرف الإمام نافع، فقد خصه المغاربة ــ لكونه المقرأ المعتمد لديهم ــ بكثير النظر والمباحثة. ويكفيك من ذلك أن تنظر درر ابن بري وما خلفته من نشاط عارم في شرحها واختصارها وتفصيل عقدها وما إلى ذلك من شأنها[9]

أسلوب التأليف الجمعي

وقد تنوعت أعداد هذا الجمع، فكان التسديس والتثمين والتعشير وما فوق ذلك عناوين لمؤلفات تكاثرت منذ القرن الرابع إلى اليوم، وإليك بعضها مثالا:

فعلى طريقة التسديس: الكفاية في القراءات الست (تأليف سبط الخياط،(ت541هـــ) وهي بعنوان القراءات الست التي قرأها هبة الله بن أحمد الحريري (ت531هـــ)[10].

ومما جرى على سبيل التثمين:

ــ الإيجاز والاقتصار في القراءات الثمان لابن المنادي، أبي الحسين أحمد بن جعفر (ت336هـــ)[11]

---

[1] – غاية: 70/2

[2] – الغاية:75/1

[3] – غاية: 514/1

[4] – وقد طبعت مرتين بتحقيقين – الغاية:97/1

[5] – ن. مفردة الحسن البصري: 90

[6] – حققه د.سر الختم الحسن عمر،ط1.دار عمار2001م.

[7] – غاية: 193/1

[8] – غاية: 198/1

[9] – ن. قراءة نافع عند المغاربة.

[10] – الغاية: 435/1

[11] – الغاية: 387/2

ـ التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم الحلبي (ت399هـ)[1]: وهو ذو أهمية بالغة، ويكفي أن نستحضر أن إلى مؤلفه وأبيه أبي الطيب يرجع كثير الفضل في سير الحركة التأليفية في علم القراءات في مصر والمغرب والأندلس ؛ إذ يمثلان مشيخة محمد بن سفيان (415هـ) وأحمد بن عمار المهدوي (430هـ) ومكي بن أبي طالب (ت437هـ)، وأبي عمرو الداني (ت444هـ)[2].

ومن المصادر ذات الأهمية في هذا النمط:الكتاب الأوسط في علم القراءات (الثمان) لأبي محمد الحسن بن علي العماني (من علماء القرنين الرابع والخامس).[3]والتلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر الطبري (478هـ)الذي يمثل المدرسة المكية في القراءات[4].

المفيد في الثمان، لأحمد بن محمد بن خلف أبو جعفر الأنصاري الأندلسي (كان حيا 512هـ)[5]

ويتصدر عناوين الكتب التي سارت على منهج التعشير

- الغاية في القراءات العشر لابن مهران،أبي بكر أحمد بن الحسين الأصبهاني النيسابوري (ت381هـ)[6] والجامع في القراءات العشر لنصر بن عبد العزيز الفارسي (461هـ).
- والإيضاح في القرءات العشر، للأندرابي (بعد 500هـ)[7] الذي يمثل مدرسة نيسابور في نهاية القرن الهجري الخامس. وقد اعتبر " اتجاها أصيلا في التأليف في علم القراءات "[8].
- المصباح الزاهر في العشر البواهر، لأبي الكرم الشهرزوري (ت500هـ)[9].
- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر. قال ابن الجزري: "وهو عند العراقيين كالتيسير عندنا"[10].
- المبهرة في القراءات العشر، لابن دلّه الواسطي الخياط، (ت653هـ)[11].
- الكتر في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطي (ت740هـ)[12]، وتتوالى المصنفات العشرية إلى أن يتربع على عرشها كتاب النشر في القراءات العشر لشمس الدين ابن الجزري (ت833هـ)[13]

---

[1] – الغاية339/1، طبع بتحقيق د. أيمن سويد ضمن سلسلة أصول النشر التي تصدرها الجماعة الخيرية لتحفيظ القرءان الكريم بجدة، وله طبعة أخرى بتحقيق د. بحيري.

[2] – ن. مقدمة تحقيق التذكرة: 131/1

[3] – بهذا العنوان طبع بنحقيق عزة حسن، كما أسماه مؤلفه، وبعنوان " القرءات الثمان للقرءان الكريم أخرجه إبراهيم عطوة وأحمد حسين صقر.

[4] – التلخيص: 49

[5] – الغاية: 113/1

[6] – الغاية: 35/1

[7] – الغاية: 93/1

[8] – قراءات القراء العروفين: 7

[9] – الغاية: 39/2

[10] – الغاية: 128/2

[11] – الغاية: 131/1

[12] – الغاية: 102/1

[13] – ن. ماسبق في حقه من الكلمة.

التأليف في القراءات الثلاث

ويعنون بها التي فوق السبع، أما التثليث داخل السبع فينتمي إلى ما سبق، " وقد اعتنى المتقدمون والمتأخرون بها، وقد أكثروا فيها نظما ونثرا "[1]، ومنها:

- نفيس الأثاث في القراءات الثلاث لأبي العز محمد بن الحسين الواسطي (ت521هـــ)[2].
- خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاث لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري (ت732هـــ)[3]
- الدرة المضية في القراءات الثلاث لشمس الدين ابن الجزري (ت833هـــ).
- البدر المنير في قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير لعمر بن قاسم الأنصاري النشار (ت910هـــ).
- فتح المجيد، المرشد لضوال القصيد:وهو شرح على الدرة المضية في قراءة الأئمة المرضية لأبي العلاء إدريس بن محمد المنجرة (ت1137هـــ) " وربما كان أبو العلاء هو أول من كتب في موضوع القراءات الثلاث من المغاربة "[4].

التصنيف في التعليل:

تذكر المصادر في المائة الثالثة تآليف في الاحتجاج للقراءات [5]، ولكن الكلمة التي يتداولها المؤرخون لهذا الشأن أن التأليف في هذا اللون إنما وجد سبيله الناهج بعد تسبيع السبعة وتشذيذ الشواذ، فكان ابن مجاهد أول من رام هذا الروم قبل أن يرى من الوجيه تجريد سبعته عن التوجيه، ثم انبرى بعده عصريه أبو بكر بن السراج (ت316هـــ) لهذا الأمر في كتابه " احتجاج القراءة "، لكنه لم يكمله.

ثم انطلق التأليف في هذا الاتجاه جاعلا مداره سبعة ابن مجاهد، سالكا سبلا من التناول وطرائق في التدوين، فكان الاحتجاج للسبعة العنوان الأبرز لكثير المؤلفات، ومن الأسماء الشهيرة في هذا المجال التي وقع التعويل عليها في هذا الفن:

"الحجة للقراء السبعة " لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (377هـــ) [6]، وهوأول الكتب التي وقعت إلينا في الاحتجاج القرائي،وهو حجة بالغة كاسمه، وغاية في بابه وكان له أثر كبير في الخالفين،فتناولته العلماء بالاختصار والانتخاب، كمكي بن أبي طالب (437هـــ) وأبي عبد الله بن شريح (476هـــ).[7] بل إن من كتب الاحتجاج السبعية التي وصلت إلينا، وتنعت على أنها على نحو الإتقان والإحسان، لم تكن كذلك إلا

---

[1] – لوامع الغرر: 215/1

[2] – ن. في المؤلفات في القراءات الثلاث مقدمة لوامع الغرر: 35

[3] – طبع بمطبعة الفاروق الحديثة بالقاهرة سنة 2006 م

[4] – القراء والقراءات بالمغرب: 125.

[5] – يمكن الاستفادة من الجمع الطيب الذي أثبته الأخ الفاضل الدكتور حازم حيدر في تسمية مؤلفات الاحتجاج ضمن قسم التقديم من شرح الهداية: 24 وبعدها.

[6] – بهذا العنوان طبع بتحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، ط1 1407

[7] – ن. مقدمة الحجة: 17

لكونها في جملتها أثارة من علم أبي علي الفارسي، ومنها: " الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها "[1]..و" كشف المشكلات وإيضاح المعضلات " لجامع العلوم أبي الحسن الباقولي (ت543هـ).[2] ثم لم تلبث القراءات على اختلاف أعدادها أن كانت عرضة لهذا المطمح، فكان من العناوين في ذلك:

ــ كتاب "قراءة أبي عمرو " لأبي القاسم عبيد الله العمري البغدادي ثم المصري (ت307هـ)[3].

ــ " الجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي" لأبي الحسن شريح الرعيني (ت539هـ)[4].

ــ كتاب "الفصل بين أبي عمرو والكسائي" للقارئ النحوي أبي طاهر عبد الواحد البزار (ت349هـ) وألف أبو بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس (من علماء القرن الرابع الهجري) في توجيه القراءات الثمان"الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار" [5]. وكان " الموضح في وجوه القراءات وعللها " لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد 565هـ) في نفس الموضوع.

وفي القرن السادس يطلع علينا أبو علي سهل بن محمد الأصبهاني (ت543هـ) بمؤلفه "مفاريد العشرة بعللها[6].

وكانت الأصول القرائية أو الفروش الأدائية مما شملها هذا التوجه التوجيهي، فتقف من ذلك على مثل:

كتاب الاستعاذة بحججها لابن مهران (ت381هـ)[7]، والموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة لأبي عمرو الداني [8].

وقد امتد الاحتجاج إلى شاذ القراءة يكشف عن وجه درايته، ويسفر عن ملحظ الصنعة فيه، فكان:

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني، من أول من أفرد الشاذ بالاحتجاج [9]، ومما ألف في إعرابها: " إعراب القراءات الشواذ " لأبي البقاء العكبري (ت616هـ) على أنه ربما لم يتمحض بعض هذه المؤلفات للشاذ، فكانت تقرن بالعشر، كمثل صنعة الحسن بن أبي الحسن صافي المعروف بـ"ملك النحاة" (ت568هـ) الموسوم بـ" أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر وشيء من

---

[1] – طبع الكتاب بتحقيق د.محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة.

[2] – طبع بتحقيق د. محمد أحمد الدالي ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

[3] – الغاية: 484/1

[4] – نشر بمجلة المورد،مج 17، ع:4

[5] – بهذا العنوان طبع بتحقيق د/ عبد العزيز بن حميد بن محمد الجهني، مكتبة الرشد، ط1 2007هـ.

[6] – الغاية:319/1

[7] – الغاية:49/1

[8] – حققه الفاضل الدكتور محمد شفاعت رباني في رسالة الماجستير بالجامعة الإسلامية، وطبع لغيره خصيصا للتحقيق العلمي.

[9] – نشر في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، في جزأين، بتحقيق علي النجدي / ناصف عبد الحليم النجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وذلك عام 1386 هـ.

الشواذ "[1]. وغان عن البيان أيضا أن كثيرا من كتب " معاني القرءان " وكتب التفسير، وإعراب القرءان قد تضمنت عيونا من بدائع التوجيه ومحاسن التعليل في متواتر القراءة وشاذها.

التصنيف في شاذ القراءة

كانت شذرات من شواذ القراءة متناثرة في تضاعيف كتب المعاني، كمعاني القرءان لمحمد بن المستنير الشهير بقطرب (ت206 هـ)، ومعاني القرءان " لأبي زكريا الفراء (ت207هـ)، ومعاني القرءان لإبراهيم بن السري الزجاج (ت310هـ)، ومن أوائل من ألف فيها: أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت 255هـ)[2] كما ضمن بعضها في كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت316هـ) ثم كان تأليف ابن مجاهد الذي وضعه إزاء كتابه السبعة: " قراءة النبي صلى الله عليه وسلم "[3]، قال عنه ابن جني: " إذ كان مرسوما به، محنو الأرجاء عليه، وإذ هو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته " [4] ومن أشهر ما ألف في الشاذ:

_ المفيد في القراءات الشاذة لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن أشتة (ت360هـ)[5]تلميذ ابن مجاهد.

_ مختصر في شواذ القرءان من كتاب البديع لابن خالويه (ت370هـ) تلميذ ابن مجاهد.

في القرن الخامس سيسهم أئمة الأداء بالأندلس والمغرب في هذا المجال، ويتصدر كتيبتهم أبو عمرو الداني في كتابه: المحتوى في القراءات الشواذ[6]، كما ألف فيها أبو علي الحسن الأهوازي (ت446هـ) مفردة

---

[1] – مقدمة شرح الهداية: 36

[2] – وهو من مصادر المحتسب ن. 35/1

[3] – الغاية:157/2

[4] – المحتسب: 35/1.

[5] – الغاية: 184/2.

[6] – الغاية:505/1

الحسن البصري[1]، ولأبي الفضل الرازي (ت454هـ) مؤلف بعنوان: اللوامح.

ومن مؤلفات الشاذ أيضا:

أرجوزة في الشواذ بعنوان: طوالع النجوم في موافق المرسوم" للديواني الواسطي (ت743هـ)[2].

إعراب القراءات الشواذ للعكبري (ت616هـ)[3].

رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ لأبي محمد عبد الله بن محمد الشهير بيوسف أفندي زاده (ت1167هـ)[4].

وقد لاحظ بعض الباحثين أن" المدرسة المصرية ظلت متخصصة في القراءات المتواترة، ولم يخلف لنا أحد أعلامها أي كتاب في القراءات الشاذة. وللأثر الكبير الذي أحدثته المدرسة المصرية بالقراءات في الأندلس والمغرب، فإن تلك الدراسات لم تهتم بالقراءات الشاذة، ولذلك لم يؤلف مقرئ منها في الشاذ، بل اقتصر على المتواتر "[5].

التأليف بحسب مراتب الرواية ومعايير الإسناد

المؤلفات بهذا الاعتبار نوعان:

الأول ما يشترط فيه المؤلف الأشهر واختيار المقطوع به عنده، وهذا المتقبل المجمع عليه [6]مثل: سبعة ابن مجاهد (ت324هـ)، والغاية في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت381هـ) [7]، وتيسير أبي عمرو الداني (ت444هـ)، وغاية الاختصارفي قراءات العشرة أئمة الأمصار لأبي العلاء الحسن الهمداني (ن569 هـ)[8]، وتبصرة مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، وكافي ابن شريح، وحرز الإمام الشاطبي (ت590هـ).

والثاني يعرض فيه المؤلف لما تأتى له جمعه من متشعب المروي ومتكاثر الطرق دون شرط من صحة أو اشتهار [9]. مثل:

---

[1] – دراسة وتحقيق: د عمر يوسف حمدان، دار ابن كثير للنشر، الأردن، ط1، 2006.

[2] – طبع ضمن: "وجه التهاني إلى منظومات الديواني" بتحقيق د ياسر المزروعي، غراس للنشر والتوزيع، ط1، 1430.

[3] – دراسة وتحقيق،محمد السيد أحمد عزوز، ط1، (1417هـ-1996م)

[4] – طبعت بتحقيق عمر حمدان وصاحبه، دار الفضيلة، عمان، ط1، 1425

[5] – الدراسات اللغوية والنحوية في مصر: 56.

[6] – وما قد يوجد في هذا النوع من أحرف متكلم فيه، فيسير معروف عند ثقات الحفاظ ونقدة الأئمة..ن. المنجد: 88

[7] – مطبوع بنحقيق محمد غياث الجنباز.

[8] – مطبوع بتحقيق أخي الفاضل الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت.

[9] – ن. المنجد: 87 _ 89

الكامل في القراءات الخمسين لأبي القاسم الهذلي (465هـ):" جمع فيه ألفا وأربعمائة وتسعة وخمسين رواية وطريقا " [1]. وسوق العروس لأبي معشر عبد الكريم الطبري (478هـ): " فيه ألف وخمسمائة وخمسون رواية وطريقا "[2].

قال ابن الجزري: " وهذان الرجلان أكثر من علمنا جمعا في القراءات، لا نعلم أحدا بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري (ت 629هـ)فإنه ألف كتابا سماه الجامع الأكبر والبحر الأزخر يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق"[3].

وكانت هذه المكاثرة والاستزادة في الطرق والروايات سببا وجيها للمصنفين في أن يضبطوا مخارج هذه الطرق ويمحصوا منافذ الروايات، فبرزت بعض العناوين التي تعنى بهذا الجانب مثل كتاب ابن الباذش الذي أسماه " الطرق المتداولة في القراءات "، ولم يكمله.[4]

التأليف فيما فوق العشر

ومعلوم أن مازاد على العشر فإنه آيل في عرف القراءة اليوم إلى الشذوذ، ومما ألف على هذا النمط:

الروضة في القراءات الإحدى عشرة لأبي علي الحسن بن محمد البغدادي المالكي (ت438هـ): " وهو أول كتاب وصل إلينا في هذا الباب "[5].

ومن مصادر النشر في هذا اللون:

الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش لمحمد بن فارس الخياط (ت452هـ).

المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصن واختيار خلف واليزيدي لسبط الخياط (ت541هـ).

المنتهى في الخمسة عشر لأبي الفضل الخزاعي محمد بن جعفر (ت408هـ)[6].

التأليف في الطرق العشرية النافعية

وكان للمغاربة على الخصوص احتفاء بالغ بهذه الطرق نظموا فيها الأنظام الكثيرة، وأخضعوها للشروح المفيدة، رائدهم في ذلك: تعريف الإمام أبي عمرو الداني.ونذكر من ذلك:

---

[1] – النشر: 35/1

[2] – السابق.

[3] – السابق.

[4] – الغاية: 83/1

[5] – الروضة:85/1

[6] – الغاية: 109/2

نظم التعريف لأبي الحسن علي بن سليمان (730هـ)[1].

تحفة الأليف للصفار (761هـ)[2].

نظم التعريف للعامري[3].

تقريب المنافع في الطرق العشرة لنافع للوهراني[4].

المفيد فيما خالف فيه أحمد الحلواني محمد بن هارون المروزي للقيسي (810هـ)[5].

تحفة المنافع للفخار (816هـ)[6].

ولعل تفصيل عقد الدرر لابن غازي الذي هو زبدة التعريف لقي من الشهرة ما جعله يتقصد بكثير الشرح والبيان.[7]

التأليف في الجمع بين كتابين أو أكثر

وهو نوع من أنواع التأليف جروا عليه، وشاع عند المغاربة الجمع بين ثلاثة أقطاب هم: الداني ومكي وابن شريح وممن ألف في ذلك أبو الحسن علي بن سليمان القرطبي الفاسي (ت730هـ)[8]. ومن العناوين في هذا الباب:

الكنز في القراءات العشر لعبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (740هـ)، " وهوكتاب حسن في بابه، جمع فيه بين الإرشاد للقلانسي والتيسير للداني، وزاده فوائد "[9].

الجمع بين المفردتين الدانية والشريحية (في قراءة يعقوب)[10].

الإقناع لأبي جعفر ابن الباذش الذي جمع فيه بين التبصرة والتيسير[11].

تحفة الإخوان الجمع بين الشاطبية والتيسير[12].

---

[1] - قراءة نافع: 43/3

[2] - قراءة نافع: 353/3

[3] - قراءة نافع: 368/3

[4] - قراءة نافع: 381/3

[5] - قراءة نافع: 453/3

[6] - قراءة نافع: 502/3

[7] - ن.طائفة من شروحه في القراء والقراءات بالمغرب: 80

[8] - ن. القراء والقراءات بالمغرب: 62

[9] - النشر: 94/1. وهو مطبوع محقق.

[10] - برنامج المجاري: 141_142

[11] - مقدمته: 48/1

[12] - تحقيق أحمد بن حمود بن حميد الرويثي،دار كنوز اشبيليا، ط1،(1430هـ-2009م).

التأليف في المصطلح القرائي

عناية القراء بضبط مخارج اصطلاح فنهم، وإيضاح أعرافه ومواضعاته غانية عن البيان ؛ فتواليفهم ناطقة بذلك مفيدة فيه، غير أن مادة ذلك ربما لم تحظ بحسن الجمع، فبقيت على سبيل من التفرق، ينالها الواقف على أوزاع الأسيقة، ومتباعد الموضوعات، ومن التآليف الفريدة التي أفردت في الاعتناء بهذا الجانب:

مقدمة في أصول القراءات لأبي الأصبغ عبد العزيز بن علي السماتي الإشبيلي الشهير بابن الطحان (ت561هـــ)[1].

القواعد والإشارات في أصول القراءات " لابن لأبي الرضا أحمد بن عمر الحموي (791هـــ)[2].

الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات لبرهان الدين البقاعي[3]

ويوجد لبعض المتقدمين نوع اهتمام بهذا الجانب المصطلحي، حين يفردون بعض المصطلحات الأدائية أو الأبوبة القرائية بالتاليف، كما يعلم من بعض تواليف الإمام أبي عمرو الداني ومكي وغيرهما، ولن تعدم أن تصيب من ذلك عند بعض المتأخرين، من مثل ما رامه الشيخ عبد الرحمن بن القاضي (ت1082هـــ) في "رسالة قرة العين في معنى قولهم: تسهيل الهمزة بين بين ".[4].

كتب مصنفة في مسائل وأبوبة قرائية

ولاشك أن هذا التفريد إنما يبتغى به الإفهام الوكيد والبيان الشديد للمسائل المفردة، فتبسط مثلها، وتستقرى محالها، وتفاتش معضلاتها، لتمضي على وضوح وجلاء... ولعل في الأمثلة التي تذكر بعد ما يفي بغرض الاستدلال على ذلك:

ــ كتاب "الهاءات" لعلي بن حمزة الكسائي (ت189هـــ)[5].

ــ كتاب " الألفات واللامات " لأبي عبد الله محمد بن عمر بن خيرون المعافري (ت306هـــ)[6].

ــ كتاب " اللامات "لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (ت338هـــ)[7].

---

[1] – بهذا العنوان طبع بمكتبة أولاد الشيخ بمصر سنة 2004.

[2] – تحقيق الحسن بكار، دار القلم، ط1، (1406هـــ–1986م).

[3] – تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط1،(1416 هـــ–1996م).

[4] – منها نسخة بالمكتبة العامة، ضمن مجموع رقم 4330 . وهو رسالةالإجازة لأخينا الفاضل الدكتور حسن حميتو بكلية القرءان الكريم بالمدينة المنورة لموسم 1419هـــ.

[5] – الغاية: 539/1

[6] – نفسه: 217/2

[7] – نفسه: 597/1 ون. الكتب المؤلفة في لامات القرءان في الفهرست 1/1: 92

ـ كتاب "هاءات الكناية " لابن أبي هاشم، أبي طاهر عبد الواحد بن عمر البغدادي (349 هـ)[1].

ـ كتاب "المدات" لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين (ت381هـ)[2]، وله أيضا:"مذهب حمزة في الهمز" في الوقف.[3]

ـ اختلاف القراء السبعة في الياءات والتاءات والنونات والباءات والثاءات، لأبي الطيب عبدالمنعم بن غلبون (ت389هـ)[4]، وله أيضا كتاب " الاستكمال في الفتح والإمالة " [5].

ـ الإدغام الكبير في القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني،[6].

ـ تحصيل الهمزتين لأبي الأصبغ السماتي (ت561)[7].

ـ كتاب الماءات، لأبي العلاء الهمذاني العطار (ت569هـ)[8].

ـ الظائية النونية (في ظاءات القرآن) لأبي محمد الرسعنّي (ت661هـ)[9].

ومما استأثر باهتمام القراء أن يفردوه بالتأليف وقف حمزة وهشام: قال ابن الجزري: "وهو من أصعب الأبواب نظما ونثرا في تمهيد قواعده، وفهم مقاصده، وقد أفرده بالتأليف غير واحد من الأئمة كأبي بكر أحمد بن مهران(ت381هـ)، وأبي الحسن بن غلبون (ت399هـ)، وأبي عمرو الداني(ت444هـ)، وممن بعدهم كابن أم قاسم المرادي (ت749هـ)[10]. كالجعبري وابن جبارة..."[11].

وممن أفرده بالتأليف من المتأخرين: عبد الرحمن بن القاضي في:" مقالة الأئمة الأعلام في تخفيف الهمز لحمزة وهشام".[12] وأيضا محمد بن عبد السلام الفاسي (ت1214هـ) [13].

---

[1] - نفسه: 129/2

[2] - نفسه: 49/1

[3] - نفسه: 49/1

[4] - تحقيق: سر الختم الحسن عمر.جامعة الملك سعود الاسلامية_ إصدار مركز البحوث التربوية- الرياض 1416 ه-1995 م ط1.

[5] - مطبوع بتحقيقين:أولهما تحقيق د.عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط1، 1991، وآخرهما بتحقيق د. عبد العزيز علي سفر ط1،الكويت 1422هـ.

[6] - حققه وقدم له: زهير غازي زاهد ط.عالم الكتب.

[7] - طبع بعناية الدكتور تركستاني محمد يعقوب ط1،1412 هـ.

[8] - الغاية: 204/1

[9] - الغاية: 384/1

[10] - الغاية: 228/1

[11] - ن. النشر: 428/1

[12] - توجد منه تسخة في المكتبة الوطنية، ضمن مجموع رقم: 2947د

[13] - منه نسخة بخزانة علال الفاسي رقمه: 743

الشروح القرائية

الشرح من أهم مقاصد التأليف القرائي، وكانت بعض الكتب القرائية النثرية قد خضعت للشرح تكشف غامضها وتفتح منغلقها مثل:

المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (ت381هـ): وهو شرح لكتابه الشامل،وشرح غاية ابن مهران للأندرابي صاحب الإيضاح، والدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير[1] لأبي محمد عبد الواحد المالقي (ت705هـ)...

على أن الحظوة في هذا الشأن كانت للأنظام القرائية، حيث استهدفت بالشروح الوفيرة، تفك ألغازها وتجلي خبيئتها وتحرر مسائلها، وقد استأثرت بعض القصائد والأراجيز من ذلك بما يبلغ مبلغ الاستكثار الواضح ، فشروح الشاطبية والحواشي عليها أنهاها بعض من أحصاها إلى 118شرحا.[2] منها:

- شرح ابن الحداد (في حدود 652هـ)[3].
- اللآلئ الفريدة للفاسي (656هـ)[4].
- إبراز المعاني لأبي شامة (665هـ).
- فرائد المعاني لابن آجروم (723هـ).
- كنز المعاني للجعبري (732هـ)[5].
- العقد النضيد للسمين (756هـ)[6].
- سراج القارئ لابن القاصح (801هـ).
- إتحاف الأخ الأود المتداني بمحاذي حرز الأماني ووجه التهاني لمحمد بن عبد السلام (1214هـ)[7].

ومن الرجزيات التي وضع لها القبول، وانتشرت الانتشار الواسع أرجوزة الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع لابن بري(ت731هـ)، وشروحها غزيرة وفيرة، نذكر منها:

- القصد النافع للخراز (718هـ).

---

[1] - بهذا العنوان نشرضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، بتحقيق د.محمد حسان الطيان،ط1،1427هـ.

[2] - ن. الإمام أبو القاسم الشاطبي للدكتور عبد الهادي حميتو: 143 وبعدها.

[3] - الغاية: 366/1

[4] - الغاية: 123/2،طبع بمكتبة الرشد بتحقيق الشيخ عبد الرازق موسى.

[5] - معرفة القراء: الطبقة: 18،طبع بعضه بوزارة الأوقاف المغربية بتحقيق د.أحمد اليزيدي،وحقق كاملا في رسالة علمية.

[6] - الغاية: 152/1، وقد حقق بعضه د.أيمن رشدي سويد وطبع بجدة مكتبة نور المكتبات.

[7] - توجد منه نسخة بالخزانة العامة بتطوان رقم: 880.

- شرح أبي راشد الحلفاوي(ت824هـــ)[1].
- شرح المنتوري (834هـــ).
- المختار من الجوامع للثعالبي (875هـــ).
- الفجر الساطع لابن القاضي (1082).
- الروض الجامع لجموع (1119هـــ) ينظر قراءة نافع ج: 3 ص174 وما بعدها.

التأليف في بعض المطالب المنهجية

من ذلك:

- الاستدلال على رفع الإشكالات في جمع القراءات وتبيين المعاني المهمات لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القيسي الأندلسي (ت بعد 554هـــ).
- ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء لأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي (ت730هـــ) [2].
- نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع لإدريس بن محمد الحسني الشهير بالمنجرة (1137هـــ).

طريقة الاختصار

ومنها:

كتاب الخيرة لابن زريق الحداد (ت596هـــ)، اختصر فيها الإرشاد نظما[3].

مختصر التيسير لابن سكن أبي العباس أحمد بن علي الأندلسي (ح 640هـــ)[4].

التذكير مختصر الكافي لابن شريح لابن صالح المدني (785هـــ) [5].

الاستدراك والتكميل والتنبيه على الأوهام

ومما ألف على هذا النحو:

---

[1] - رسالة جامعية تقدم بها الأستاذ الباحث محمد صالح المتنوسي لنيل الماستر من كلية الآداب بمراكش لموسم 2010م.

[2] - رسالة ماستر أنجزها الأستاذ الباحث عبد الله أكيك بكلية الآداب بمراكش، والرسالة التي تليها أنجزها الأستاذان عبد اللطيف خلوق وإبراهيم بوكفو، وتصدر قريبا ضمن منشورات مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات القرائية المتخصصة، التابع للرابطة المحمدية للعلماء.

[3] - 41/2.

[4] - الغاية:87/1.

[5] - الغاية:155/2.

ــ الإفادة، للعبدري الإشبيلي (ت585هـــ) استدرك به على والده ابن عظيمة[1].

ــ تحبير التيسير في قراءات الائمة العشرة لابن الجزري(ت833هـــ)[2].

ــ التكملة المفيدة لقارئ القصيدة لأبي الحسن علي بن عمر بن إبراهيم القيجاطي الكناني (730هـــ)[3].

ــ الإعلام، وهو تنبيه ابن الجزري على أوهام وقعت في كتاب الإقناع لابن الباذش[4].

ــ الضابطية للشاطبية اللامية لعلي بن سلطان المشهور بملا علي القاري (ت1014هـــ)[5].

التأليف في التاريخ القرائي ومتعلقات روايته

الانتصار للقرءان، لأبي بكر الباقلاني (ت403هـــ).

منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (833هـــ)

الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن لأبي طالب القيسي (ت437هـــ)

المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي (ت 665هـــ)

التأليف في تراجم القراء:

- "طبقات القراء" لابن مهران الأصبهاني (ت381هـــ)[6].
- طبقات القراء: لشمس الدين الذهبي (ت 784هـــ)[7].
- أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار، الذين انتشرت قراءتهم في سائر الأقطار للقاضي عبد الوهاب بن وهبان المزي (ت 768هـــ).
- نهاية الغاية في بعض أسماء رجال القراءات لأبي الصفاء زين الدين الطرابلسي.(ت بعد 900هـــ).[8]، وهو مختصر لغاية ابن الجزري.
- الترجمة الكاملة لسيد القراء الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.[9]

---

[1] – الغاية: 608/1

[2] – تحقيق: قمحاوي, محمد الصادق / عبدالفتاح القاضي. دار الوعي– حلب 1972م.

[3] – الغاية: 168/1.

[4] – الغاية:83/1

[5] – دراسة وتحقيق بريك بن سعيد القرني، ط1، 2007م، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض.

[6] – الغاية: 49/1

[7] – بهذا العنوان طبع بتحقيق أحمد خان. مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط2، 1427هـــ 2006م.

[8] –طبع بتحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت ط1، 2010م.

[9] – تحقيق: إبراهيم بن محمد الجرمي. دار الفتح– عمان 2000 م.

التأليف في طرائف هذا العلم وبدائعه:

جواز قراءة القرآن على قراءة المخاطبة لمحمد بن عيسى الأصبهاني التيمي (ت253هـ)[1].

تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرءان، لأبي جعفر الرعيني أحمد بن يوسف الغرناطي (ت779هـ)[2].

في اللغز القرائي وما إليه:

وكان اللغز الذي يقصد به المفاطنة والإثارة الذهنية مكانه في بعض الكتب القرائية، ونستحضر هنا لغز أبي الحسن الحصري الشهير[3]، كما كان محلا للتأليف فيه استقلالا، ومن أمثل المثل في هذا: الألغاز الجزرية وشرحها للبقاعي[4]، وتذكر بعض المصادر أجوبة عن ألغاز قرائية كمثل الذي ينسب لأبي العلاء المنجرة[5]...كما يمكن أن ندرج ضمن هذا اللون من التأليف ماعرف عندهم بـ"فن الاختبار" وكان ممن شهر به واعتبر رائدا فيه الإمام أبو عبد الله القيسي (ت810هـ).

الأجوبة على المسائل القرائية:

وليس القصد هنا إلى المصنفات التي ألفها أصحابها إسعافا لسؤال ورد عليهم، فإن كثير المؤلفات وضع على هذا الوفق، وإنما الغرض هو ما يشبه الفتاوى والنوازل القرائية التي تمس المسألة القرائية وتثير بعضا من قضاياها الخلافية، ومن أمثلتها:

_ أجوبة على أسئلة في مراتب المد، لابن القاضي (ت1082هـ).[6]وأجوبة على مسائل مشكلة في القراءات لأبي العباس أحمد بن علي المنجور(ت995هـ).[7]

كتب التحريرات وأجوبة المسائل والمشكلات:

وهذا النوع مما وقع الاحتفال به بعد نشر ابن الجزري، ومن أمثلته:

---

[1] - الغاية: 2/223-224

[2] - طبع بتحقيق حسين البواب، دار المنارة، جدة، 1987م.

[3] - ن. منح الفريدة:47.

[4] - رسالة جامعية مرقونة للأستاذ الباحث عبد اللطيف وكار.

[5] - القراء والقراءات بالمغرب:125

[6] - منه نسخة بالخزانة العامة بتطوان، مجموع: 881 رقم 3/10420..

[7] - منه نسخ بالخزانة الحسنية والوطنية والصبيحية.

ــ تحرير الطرق والروايات من طريق طيبة النشر في القراءات العشر لعلي بن سليمان المنصوري (ت1134هــ).

ــ بدائع البرهان في تحرير القراءات العشر، وشرحه " عمدة العرفان في وجوه القرءان "كلاهما لمصطفى بن عبد الرحمن الإزميري (ت1155هــ).وهما مطبوعان.

ــ إتحاف البررة بما سكت عنه العشرة للمؤلف السابق.[1] .

ــ رسالة في أجوبة المسائل العشرين لسلطان المزاحي (ت 1057هــ). مطبوع.

ــ فتح الكريم في تحرير أوجه القرءان الكريم، والروض النضير في أوجه الكتاب المنير كلاهما لمحمد بن أحمد الشهير بالمتولي (ن1313هــ). مطبوعان.

ــ حل المشكلات وتوضيح التحريرات في القراءات لمحمد بن عبد الرحمن الخليجي (كان حيا سنة 1333هــ)،مطبوع.

أجوبة المسائل المشكلات في علم القراءات لأحمد الإسقاطي(ت1159هــ) [2].

فقه المقارئ من خلال تصاريف الدراية:

القراءات القرءانية وحي كريم وتنزيل من حكيم حميد لا يناكد شأن التوقيف فيها أن تحفها الدرية من بين يديها ومن خلفها، طالما لم يبلغ الأمر أن يؤول أمرها ابتداعا من القول يورثها ابتعادا عن مشكاة التلقي وتنكرا لمأخذ السماع.. وبهذا الاعتبار سرت الدراية في أوصال الرواية القرائية، وحظي الأمر القرائي بحسن التدبير وجميل التفكير في مجاري مادته، ومسالك التصرف في منهجه، فكانت منابر إقرائه ودفاتر هجائه، مأخوذة بوابل الاعتناء، كما كان للمأثور القرائي طيب الأثر في مختلف العلوم العربية والشرعية، هو أيضا وجه من وجوه الدراية تعداه إلى غيره ليثمر النتاج الكريم في الاستنباط والفهم وحسن النظر.

وقدما قال أئمة القراءة في تحقيق الموازنة بين مقام الرواية والدراية: " العلم فطنة ودراية **آكد منه** سماعا ورواية "[3]

وقال الإمام ابن الباذش كلمته البليغة في هذا الشأن: "...لكن ليس من أينعت له أيكة العلم فهو يهدب، كمن اقتصر على رواية إليها ينتدب، ذلك تمتع بالجنى، وتصرف بين اللفظ والمعنى، ودنا فتدلى، وكشف له عن

---

[1] – طبع بعناية خالد حسن أبو الجود، أضواء السلف، ط1 2007م.

[2] – تحقيق د.أمين محمد الشنقيطي، كنوز إشبيليا،ط1، 2008م

[3] ــ التحديد: 67.

أسراره فاجتلى، وهذا خازن أمين أدى، وظرف باطنه عرف نضح بما فيه وأندى، فحسبك منه ما بدا، وأن تجد على النار هدى"[1]

وفي سياق التبين لما أثمره الفقه القرائي من زكي الثمار، ولحظ ما جادت به قرائح القروم السابقين ندرج هذه العناوين صوى بارزة وصورا هادية لمعارج الدراية ومدارك الفهوم في الكيان القرائي:

تدبير مسالك التلقي وترتيب مطالب الأخذ:

علم أئمة الأداء أن ملاك أمر القراءة هو الأخذ والتلقي والسماع، فأصلوا مطالبه، ورتبوا شرائطه، ونظموا طرائقه ومسالكه، ورسموا معالمه وآدابه، وعملوا على حياطته وصيانته مما يشينه من العيوب ويشوبه من الهنات، ومن الصور التي تنبئ عن بعض هذه الجهود:

الاهتمام بالمباحث الإسنادية ومجاري التوثيق:

لما كان سبيل الرواية سبيل ما يناله الضعف والوهن ويعتريه الخبال والمجازفة، فقد تواترت الجهود في غير كلل ولا ملل في الاعتناء بمباحث الإسناد ومسائل الرواية، فضبط أئمة القراءة مراتب التحمل والأداء، ورتبوا منازل الرواة، وتأملوا أحوال النقلة، وميزوا بين الطرق والروايات، وعرفوا بالصحيح السائر، ونبهوا على السقيم الداثر، وفرقوا بين طرائق الأخذ، فكانت التلاوة في مقابل الحكاية، والنص قسيم الأداء، ووثقوا الخلاف بما ينحسم به الخلاف، حين رصدوا مستوياته وضبطوا مراتبه، فكان خلافا واجبا وجائزا[2]، وقرروا أن " من لم يعرف الخلافين لا سبيل له إلى الوصول إلى معرفة القراءات، ومن لم يميز بين الطرق والروايات لا منهاج له إلى السلامة من التركيب في القراءات" [3].

واشترطوا في المقرئ أن تكون له " أنسة بحال الرجال والأسانيد مؤتلفها ومختلفها، وجرحها وتعديلها، ومتقنها ومغفلها. ". قال ابن الجزري: " وأفضل من علمناه تعاطى ذلك وحققه [المعرفة بأحوال رجال القراءات]، وقيد شوارده ومطلقه، إماما المغرب والشرق: الحافظ الكبير الثقة، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، مؤلف التيسير وجامع البيان وتاريخ القراء وغير ذلك، ومن انتهى إليه تحقيق هذا العلم وضبطه وإتقانه ببلاد الأندلس والقطر الغربي، والحافظ الكبير أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمداني، مؤلف الغاية في القراءات العشر، وطبقات القراء وغير ذلك، ومن انتهى إليه معرفة أحوال النقلة وتراجمهم ببلاد العراق والقطر الشرقي. ومن أراد الإحاطة بذلك فعليه بكتابنا (غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية) "[4]

---

[1] - الإقناع: 47.

[2] - ن. مفهوم الخلاف ومستوياته عند القراء: النشر: 2/199-200

[3] - لطائف الإشارات: 1/337.

[4] - النشر: 1/193.

ثم إنهم خدمة لهذا الأصل الأصيل والركن العتيد منعوا ـ **في مقام الرواية** ـ **من تركيب القراءات والتخليط بين الطرق**،واعتبروا ذلك كذبا في الرواية وتخليطا على أهل الدراية، وجعلوا توقي ذلك شرطا من شروط الجمع ـ إذ هو مظنة ذلك ـ قال في الطيبة [1]:

بشرطه فليرع وقفا وابتدا ولا يركب وليجد حسن الأدا

وقد حرص علماء القراءة أن يبسطوا بين يدي مصنفاتهم أسانيدهم الوثيقة عن مشيختهم،بيانا لطرقهم في الأخذ، وتأكيدا على أن القراءات هي الإسناد.

وإلى ماسبق، ظهر هذا الجهد التوثيقي في مجاري كثيرة منها:

وضع ضابط القراءة الصحيحة:

وهو الضابط التي أصله العلماء صونا للقراءة من الاختلاق والمجازفات والادعاءات، ويتفرع إلى ثلاثة شروط:

الأول: سلامة النقل وصحة السماع والثاني: موافقة المهيع العربي والثالث: إتيان الرواية على وفق المرسوم.وهي شروط متفاوتة في الاعتبار، كما أن بعضها لم يخل من إثارة الحديث حول مفهومه ومرتبته... مما يشهد لهم بالنباهة الشديدة واليقظة البالغة في التوثيق والتحقيق، ثم إن تطبيقها على المقروء للحكم على سلامته أو العكس ليس متاحا لكل أحد، كما يعرفه كل أحد. وقد انماز ذلك بفضل مصنفاتهم وما حرروه في هذا الشأن[2] على أن الذي يهمنا هنا هو أن هذا الأمر يرجع بأصله إلى عهود التأصيل الأولى، ثم توارد العلماء بعد في مختلف الأعصار على تنقيح هذا الضابط وتوسيع مفاده بما يضمن مرونته وحسن تقبله، فآل إلى آخر صياغاته التي نقلها ابن الجزري في نشره، وعلى هذا الضابط كان تقسيم القراءات.[3] وقد دافع ابن الجزري على إدخال القراءات الثلاث إلى حيز الاعتبار، بناء على ذلك، كما كان يدندن حول هذا الضابط كلما تأرجحت القراءة بين القبول والرفض. وهو الذي انتهى إلى القول عن مشموله:" والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول "[4] ولنستمع إليه وهو يقرر في حق قراءة ابن محيصن:" وقد قرأت بها، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة "[5]

التعامل الذكي مع المعتبر القرائي وشاذه:

---

[1] – ينظر طيبة النشر، البيت: 428

[2] – لطائف الإشارات: 67.

[3] – ن. منجد المقرئين: الباب 2 ص15

[4] – المنجد: 80.

[5] – الغاية: 167/2.

الشاذ ما لم تجتمع فيه شرائط القبول التي تضمن له القطع على مغيبه، مخالفا ما أجمعت عليه الحجة من أئمة القراءة، فيتخلف عن جادة الاستعمال، ويقصى من دائرة التعبد للاحتمال.[1] وربما بدت بوادر الشذوذ في العهود الأول الشاذة بدأ في ذلك الوقت، ولكن كتب المصحف العثماني كان واضحا في رسم الحدود بين الشاذ وغيره باعتبار الموافقة لنصه أو المخالفة لرسمه. صحيح أن مصطلح الشذوذ لم يستقر نضيجا إلا بعد عقود من الزمن، حيث تقلب أطوارا، وتسمى بأسامي كثيرة كالقراءة القليلة، وقراءة البعض، وقراءة قوم.. وربما كان القرن الرابع مرحلة حاسمة في تاريخ الشذوذ، حيث تولى كبر الإفصاح عنه الإمام الطبري المفسر (ت310هـ)، كما فهم من التسبيع تشذيذ ما لم يدخل تحته."وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرءان ؛ لعدم صدق القرءان عليه، أو شرطه، وهو التواتر"[2] والذي يهمني في هذا المقام هو أن الفهماء من القراء وقفوا من الشاذ موقفا منسجما متزنا: فهموا أنه على غير جادة المتلو، وأنه مدعاة لإثارة الخلاف،فكرهوه ونقموا متتبعيه، وتواصوا بإقصائه عن حرم التعبد لعدم القطع بقرءانيته[3]،قال السخاوي: " والذي لم تزل عليه الأئمة الكبار، القدوة في جميع الأمصار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية توقير القرءان، واجتناب الشاذ، واتباع القراءة المشهورة، ولزوم الطرق المعروفة في الصلاة وغيرها "[4] ثم إنهم _ في غير تناقض ولا تدافع _ قربوه باحترام وتقدير، وألفوا فيه استقلالا، ووازنوا بين مراتبه وميزوا بين حروفه[5]، ورأوا فيه المادة الصالحة لاستنباط صحة التأويل، وأنها من العلم الذي لا يعرف فضله إلا العلماء. وهو ما أحسن الإمام أبو الفضل الرازي العجلي (ت454هـ) في كتاب اللوامح إفادته بقوله:

" واعلم أن الشواذ الخارجة عن مشاهير القراءات واختيارات الأعلام من الأئمة يجب أن يدع القارئ التلاوة بها في المحاريب وعلى المنابر وفيما بين محافل المسلمين والإقراء بها، وإن تداولتها الأئمة فيما بينهم إخبارا وتحديثا ومذاكرة، واستدلوا ببعض ذلك على ما اختاروه من مشاهير القراءات واعتبروا ببعضها، فجعلوه أدلة على الأحكام والتفسير، وقد أضيف بعض ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسمي بقراءته، وبعضها إلى الصحابة وإلى مصاحفهم، رضي الله عنهم، وبعضها إلى التابعين من بعدهم على ما تجده ما بين المرفوع والموقوف والمرسل والمدرج والمقطوع "[6]

التحريرات:

---

[1] – ن في نعريف الشاذ وتاريخه شؤونه: رسالة في حكم القراءة بالشواذ ليوسف أفندي زاده، والقرءان والقراءات: 720 وبعدها

[2] – لطائف الإشارات: 72/1.

[3] – ن. برهان الزركشي: 332/1-333.

[4] – جمال القراء

[5] –فالأربعة التي بعد العشر أرفع رتبة من غيرها، ومشتهر الشاذ ليس كغرائبه...

[6] – نقلا عن رسالة يوسف أفندي في الشواذ: 90-91

وهي عبارة عن النظر في تنقيح الطرق القرائية وتمييز مسالكها درءا لها من شائبة التخليط والتركيب، بما يضمن انضباط الهيئة الاجتماعية للتلاوة. وقد تدبر هذا المعنى كثير من أهل الأداء، خاصة شراح الحرز، حيث جهدوا في توصيف طبيعة الخلف القرائي وضبط مرجعه وتحديد مخرجه، ثم جاء المحقق ابن الجزري فكان من أمثل من نادى بالنظر التحريري في نشره، ثم وليه ثلة من القراء حين رأوا العنت في إفراد ذلك من النشر، وقد سبق في التأليف ذكر نماذج من ذلك.. وإنما القصد إلى أن هذا التوجه ينطوي على إعمال فكر ونظر، وتتبع واستقراء، وعزو وتوثيق،ومقارنة وموازنة.. بما يضمن للرواية سلامة المنهج وضبط النقل.

تنظيم الطريقة التعليمية:

_ كانت عبارة القراء مبسوطة في عرض جوامع التعليم وأساليب الإقراء، أبانت عن ظروف الأخذ وطرائقه، وشرطه ومقداره،وتحدثت عن شروط المقرئ وصفته،وآداب القارئ ولوازمه، وعاجت عن أحكام الإجازة وألوانها. ولقد كانت العملية التعليمية تقوم منذ القديم (في القرن الأول) على المنهج الرشيد والطريقة العلمية الحميدة، وقد بلغنا في عهد الصحابة بعض التوصيفات التي تفيد في هذا الجهة.[1] ومما يمكن إدراجه في هذا السياق ما ابتدعوه من الاصطلاحات الإشارية في العملية التعليمية، فقداعتمد القراء في تلقين كثير من الهيآت الأدائية الإشارة دون العبارة، مما جعل لهم في ذلك عرفا خاصا يعتمد الاختصار مع سرعة الإفهام، قال الإمام أبو عمرو الداني: "... ثم ينظر القاري إلى إشارات الأستاذ التي قد عرفت منه، في الوقف والمد والهمز والتمكين والتفكيك والإدغام والإظهار، والفتح والإمالة، والكسر والضم والفتح، فإن الحذاق من المتصدرين لم يزالوا يستعملون لذلك إشارات تنبئ عن حقيقته، وتدل على كيفيته من غير تكلف نطق، ولا استعمال لفظ، إلا أن يكون القارئ لا يعرف ذلك ولا يتنبه له، فليلفظ له حتى يعلمه "[2]

سياسة الجمع في الإقراء:

كان من حسن التدبير لمادة هذا العلم أن ابتكر في سبيل تحمله وتحميله، وابتدع لذريعة احتواء أوزاعه في أصله وفرشه أسلوب الجمع في القراءة، وطريقة الإرداف في التلقي والإلقاء، فكان ملحظا منهجيا نبيها،وسياسة راشدة ذكية تهدي للتي هي أحصر، حيث يقوم فيها القليل دليلا على الأكثر، بوضع معلوم وشرط مرسوم... وقد كان ظهور هذا النوع في بداية القرن الهجري الخامس على يد الأندلسيين والمغاربة[3]، دعاهم إلى ذلك فتور الهمم، وقصد سرعة الترقي والانفراد.. ومهما قيل في شأن مشروعية هذا الجمع فالذي لا يمترى فيه اليوم أنه استقر شريعة قرائية ماضية، تلقته أمة القراءة والإقراء بالقبول، وجرى على الأخذ به

---

[1] – مثل ما ورد في ترجمة أبي الدرداء

[2] – شرح الخاقانية: 25و.

[3] – ن. منجد المقرئين: 72

كبراء الأئمة وعلية المتصدرين في محافل الدرس والتلقي، بعد أن تبينوا أنه توفيق لا ينافي التوقيف، وأنه وإن عري عن خصوص الدليل، فإنه يجد له الكنف الواسع والشاهد المقنع في تصاريف الشرع وكلياته، بما يضمن له صحيح الاعتبار، ويدفع عنه معرة الابتداع، ثم إنهم أحكموا أمره حين أحاطوه بشروط مشروطة وضوابط معلومة، ورسموا مذاهبه، وفاضلوا بين طرائقه.. وفرقوا بين مواطنه ومقاماته فتنكبوا به عن سبيل الزيغ والشطط، ودرأوا عنه بذلك مداخل الإهمال والإخلال التي تعود عليه بالنقض وبالإبطال... على أن بعض الأئمة الكبار كالإمام الشاطبي رحمه الله كان يأخذ بهذا المنهج على نحو صارم حازم أضحى سنة المتأخرين في هذا العمل، وهو الذي يقوم على القراءة لكل واحد من السبعة في ثلاث ختمات.قال ابن الجزري: " وهذا هو الذي استقر عليه العمل إلى زمن شيوخنا الذين أدركناهم "[1]

تحصين العلم القرائي بحياطة حرمه فلا يمسه إلا من تحقق بالعلوم السبعة: التي اعتبرت وسائل وكيدة لتحصيل علم القراءات[2]، وقد حفظ أئمة القراءة بذلك أمر التلقي أن يصير إلى محض تقليد أو يؤول مجرد محاكاة ؛ إذ بتلك العلوم والمعارف يتوسل إلى حسن فهم مباحثه، ويتوصل إلى ضبط كثير من مسائله، كما

طالبوا طالب هذا العلم بأن يكون ذا حظ واف وخلاق كاف من علوم تربطها بفن القراءات علائق المودة والقربى: كالأصلين والفقه والتفسير..، وغير ذلك مما يرتقي به في مدارج الإمامة في هذا الفن،ويجري به في مضمار نقاله المهرة فيه الذين إليهم يفزع في الأقطار والأمصار.

ولتوثق صلة هذه العلوم بالقراءات كانوا ربما يدرجون بعض مباحث هذه العلوم في صدور مؤلفاتهم

---

[1] – النشر: 195/2

[2] – القصد هنا إلى العلوم السبعة وهي: 1 – علم التجويد 2- علم العربية 3- علم الرسم 4 - علم الوقف والابتداء 5 – علم الفواصل 6 – علم الأسانيد 7 – علم الابتداء والختم، وممن تحدث عن علاقتها بالقراءات الإمام البقاعي في ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات، ونقل ذلك عنه القسطلاني في لطائفه.

القرائية أو أعجازها أو تضاعيفها، كمخارج الحروف وصفاقما [1]، والوقف والابتداء، وشذرات من وجوه التعليل...

من أثر النظر في أداء الأثر:

الاختيار القرائي[2]: دراية تقع في بحبوحة الرواية، ونظر يسبح في غمرة الأثر. وهو إنما يعني الحضور الذكي للمتلقي الذي يزكو بسماعه ويرتقي به في معارج الفهم؛ إذ هو يعني الانتخاب الواعي بين القراءات، الضابط فيه ألا يرى خارجا عن مأثور من تقدم من أئمة الأداء، ومروي من سلف من مشايخ الإقراء، صادرا عن الأهلية الراسخة والاقتدار المكين، مراعيا فيه احترام المعايير العلمية المعروفة عند أهل هذا الشأن... وقد بدت جرثومة هذا المبدأ في عهد الصحابة [3] ؛ إذ كان الأصل تخيير الأمة في القراءة بما شاءت من الأحرف المترلة، وقد كان التخير من كلام من يرد عليهم من القبائل قبل ذلك دأبهم وسنتهم، فاجتمع المتخير لديهم من ذلك إلى نحائزهم وسلائقهم، ثم جرى هذا عند الآخذين الأول من التابعين وتابعيهم حين تكاثر المروي وتناسل المنقول، فكانوا ينتخبون الأوثق في النقل والأجرى في العربية والأوفق للرسم [4]، فيصير للناس إسنادا من حيث الهيئة التركيبية والنظم النسقي، وهو إنما يترع إلى الرواية نزوع أصالة وعراقة. على أنه قد يتجرد مذهبا قرائيا يستوفي أحرف التلاوة، ويأتي على مواطن الخلاف، وقد يقصر دون ذلك منحسرا في أحرف معينة.. ويخطئ التقدير من يقرأ عبارات موهمة فتسلمه إلى اعتقاد أن التعمق في النحو يورث الاستبداد بمقرإ خاص دعي متبرئ من محتد الرواية [5]، ويظن ظن السوء من يرى أن نسبة القراءة إلى من نسبت إليه من القرأة إنما هي على حد الإنشاء والابتكار والاختراع.. وقد سبق القول أن الاختيار التسبيعي إنما كان لرسم السنن الأبين، ودرء الفوضى التي لحقت بهذا العلم من جراء وفرة الاختيارات، ثم غبر الناس على لزوم ذلك والسير على سننه، ورأوا في ضابط القراءة الصحيحة أصلا مكينا يبنى عليه قبول القراءات _ عن سبعة أو سبعة آلاف _ [6] وفيصلا فارقا بين معتبر القراءة وشاذها، فكانت القراءات الثلاث مما شملها رضوان هذا الضابط، ليؤول الأمر في نهايته إلى أن القراءة المعتبرة اليوم هي التي ضمنتها الدواوين الثلاثة: التيسير والتحبير والنشر، وأنظامها: الحرز والدرة والطيبة. ونحوها من الكتب التي تجري على شرطها.

---

[1] – ن.مثلا: الحرز: باب مخارج الحروف وصفاتها، والإقناع: 171/1 وبعدها، الكتر: 165/1 وبعدها.

[2] – ن. في شأنه ومتعلقه: الاختيار لعبد الفتاح شلبي.

[3] – غاية 426/1.

[4] – ن.الإبانة: 65.

[5] – كمثل قول التيسير 109 عن ورش: " كان يروي عن نافع الإسكان، ويختار من عند نفسه الفتح "

[6] – ن.الإبانة: 67

القياس القرائي: وهو عنوان من عناوين الدراية، غير أن معناه في بابة علم القراءة لا يعني أكثر من امتلاك المقرئ الملكة القرائية التي تعينه على رصد الأشباه والنظائر، ورعي الانسجام الكلي في حقائق هذا العلم ، بما لا يذهب بالمستثنيات النقلية من الاعتبار، ولا يستنكف عن مساءلة الرواية واللياذ بها في حكم المفردات الجزئية المتخلفة عن القانون الكلي، والتسليم بها وإن لم يلح منها داعي الحكمة وباعث التعليل .. وبكلمة مختصرة فليس القياس القرائي ــ كما قيل ــ سوى " نسبة جزئي إلى كلي "[1] أو هو إلحاق بعض المفردات الجزئية ــ التي لم يقع التنصيص عليها ــ بنظائرها مما يرى بشكل جلي أنه مشمول بالقاعدة الكلية المشتركة، وعلي هذا الحد يحمل القياس حين يصرح به في مثل قولهم:

"... فهذه الأصول المطردة قد ذكرناها مشروحة... ليقاس عليها ما يروى منها "[2]

أو يرد في مثل حديث بعض أكابرهم:

" وأكثر هذا الباب إنما هو قياس على الأصول، وبعضه أخذ سماعا "[3]

أما القياس ــ بمفهومه الأصولي ــ بما هو اعتبار وتقدير، وإعمال للفهوم والآراء بعيدا عن أثارة الرواية، فلا مقام له في ديار هذا العلم

ونبه عليه قبله الإمام الداني في منبهته[4] بقوله:

فلا طريق للقياس والنظر   فيما أتى به أداء وأثر

واستعمال هذا المصطلح في كتب القراءات،إنما هو على هذا الحد، وواقع على هذا المساق. وربما حدث نوع توسع في استعمال هذا العنصر من قبل بعض المدارس القرائية ، فيجابه بكلمة الحسم في الموضوع مصوغة في قول الإمام الشاطبي [5]:

وما لقياس في القراءة مدخل   فدونك ما فيه الرضا متكفلا

على أن ذلك كله لا يخرج أيا من تلك المدارس عن منهاج السماع، ولا يحيد بها عن مهيع الرواية الذي هو المعيار والوزر في هذا العلم.

---

[1] - النشر: 17/1.

[2] ــ التيسير: 71.

[3] ــ التبصرة: 414.

[4] ــ المنبهة: 143/1، بتحقيق د. الحسن وجاج.

[5] ــ البيت: 354 من الحرز، باب مذاهبهم في الراءات.

النظر التوجيهي والملحظ التعليلي.[1]

كان استنطاق المعنى القرائي غرض الأوائل من العلماء، بل ربما وجد الحديث عن دراية القرءات وفقه مرويها مصداقه في مقام الصحبة نفسه لما يكتنزه من العلم والفهم وحسن الإدراك، خاصة عند من عرف عنهم التمرس بعلوم الكتاب وتعاطيه على نحو متميز، فقد أثر عن ابن عباس من ذلك مادة كافية [2].

كما يمكن تبين بعض ملامح الفقه القرائي في تلك النظرات الأولى التي تمثل اختيارات الأئمة الأوائل من رواد هذا الشأن من أمثال عيسى بن عمر الثقفي وأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي جعفر الطبري.. ولك أن تستخلص ثمرات المعرفة القرائية من أكمام تلك المجالس العلمية والمناظرات التي كانت تعقد بين فقهاء العربية في مطارحة محامل الخلف القرائي ودلالاته، ولن تلبث بعد ذلك أن تجد في أمهات المصادر الأولى بغيتك من هذا القبيل، ففي كتاب سيبويه أنظار متفرقة واستشهادات متناثرة بلغة القراءات بما يمكن أن تعتبره الجرثومة الأولى في طريق الاحتجاج القرائي، كما أن كتب معاني القرءان وإعرابه تحظى بطائفة ثرية في هذا المعنى، ولن يضل سعيك إذا أنت يممت شطر أمهات كتب التفسير لتجد المقام مخصبا في هذه الناحية، وقل مثل ذلك في شروح الحرز وكتب القراءات التي أبت إلا أن تلحق المتن القرائي بالشرح يظهر فوائده ويكشف عن وجوه دلالته، فاشتملت على الوصفين: وصف الرواية والدراية.

و الذي تواطأ عليه الباحثون أن كتب الاحتجاج كان مدارها _ إلا مااستثني _ على كتاب السبعة، وأن كتب معاني القرءان وإعرابه، وكتب التفسير عامة كانت مثابة له ومأوى لعرض أنظاره وبث أفكاره. على أنه لم يقتصر في ذلك على المقبول القرائي، بل تعداه إلى الشاذ، ومن أفضل من انتصر للشاذ من هذه الوجهة، وأبرز وجوه درايته ابن جني في المحتسب.ليس يخفى ما ورثه هذا التوجه المعجب في اللغة القرائية من مثارات النظر، بما أكسبها الثراء في صيغتها ومبناها و دلالتها ومعناها في مختلف تعلقات الدراية: نحوا وصرفا ولغة وبلاغة وصوتا...

النقد القرائي

ويقصد به في هذا المقام أن المأثور القرائي لم يزل منذ كان بأعين التفحيص والتمحيص، مرعيا بسهام البحث والدرس والتحرير، تتفيأ ظلاله معاني النظر والتقويم، وترتجي مسالكه آفاق الترشيد والتسديد؛ صونا لروايته عن المجازفة، ودفاعا عن عربيته المبينة المشرقة، وترسما لسبيل المؤمنين في الائتمام بالمصحف الإمام.

وإن المتتبع للتاريخ القرائي ليلمس الحس النقدي في كلمات العهد الأول، ويكفيه من ذلك مثلا: حادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم [1]، ونهي عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود أن يقرئ الناس بلغة قريش

---

[1] – ن. في تعريف علم التوجيه القرائي: شرح الهداية للدكتور حازم حيدر، ومقدمة حجة الفارسي وغيرها.

[2] – معاني الفراء: 173/1.ن. فيما روي من احتجاج بعض الصحابة للقراءات الحجة 96/3و97، والكشف: /363.

ولا يقرئهم بلغة هذيل [2]،وتجد لذلك أمثلة كثيرة في عهد التابعين فمن بعدهم [3].. وأما مرحلة التسبيع ــ بما هي اختيار واقتصار ــ فهي معلمة تاريخية من معالم هذا النقد والسبر..والمطالعة اليسيرة في مقدمة كتاب السبعة وتضاعيفه تنبئ عن نظرات علمية ناقدة [4]، وفيما يلي هذه المراحل تجد النقود مبثوثة في أقاويل العلماء وتصانيفهم كلما ازورت القراءة عن الجادة لضعف رواتها أو شذوذها أو مخالفتها للسواد [5]، وما إلى ذلك من موجبات النقد ومقتضياته.. كما يتجه النقد على المتصدرين للإقراء إذا تلكؤا عن مطالب الأهلية أو صدر عنهم ما يوجب التجريح، وكتب التراجم ملآى بعبارات النقد الناصح البناء، وتنبث في تضاعيفها كلمات الجرح والتعديل التي تبتغي كلمة الحق في تقويم القارئ والحكم على قراءته،و كان شعارها قول الخاقاني:

فما كل من يتلو الكتاب يقيمه وما كل من في الناس يقرئهم مقري

وقول الحصري بعده في بيتيه الشهيرين:

لقد يدعي علم القراءات معشر وباعهم في النحو أقصر من شبر

فإن قيل ما إعراب هذا ووزنه رأيت طويل الباع يقصر عن فتر

كما أن كتب القراءات نفسها وتوجيهها قد تولت بنبيه النقد بعض القراءات خاصة من جهتي الرواية والدراية

على أنه لم يتول هذا النقد القراء -أصحاب الميدان- فقط، بل نزلت طوائف من المفسرين واللغويين والمحدثين والفقهاء[6] هذه الساحة، وسطروا ملاحظهم الناقدة على بعض الأسيقة القرائية، وتناولت أقلامهم بالمؤاخذة والمفاتشة بعض النقول، فكان وفرا زاكيا هذا الذي خرج من رحم معترك أنظارهم، ومادة خصيبة ارتوى من ريها الدرس القرائي... ومعلوم أنه إذا كانت وجاهة النقد تصدر من صحة دليله وسلامة معتمده، فإن أي نقد لا يمكن أن يقبل في حق هذا العلم مالم يصب وجه الصواب أو يتجانف عن التهم والطعون التي تعود علي منهجه بالريبة والتهوين، وترجع على أصله النقض و الإبطال... [7]

وقد أحكم فقهاء القراء كلمتهم في هذا الشأن وتركوها باقية في الخالفين أن: " أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرءان على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، ولكن على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لا يضرها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير

---

[1] – فتح الباري: 23/9 كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

[2] – فتح الباري9/9: والبرهان: 284/1 -285.

[3] – اعتبر بعض الباحثين أن مرحلة التابعين هي بداية نقد القراءات من حيث الرواية. ن. قواعد نقد القراءات: 161.

[4] – ن. مقدمة الكتاب: 27 وبعدها.

[5] – ن. في أسباب النقد القرائي ومصطلحاته وأشهر المؤلفين فيه قواعد نقد القراءات.

[6] – مثل الطبري والزمخشري وابن عطية، والأعمش، وسيبويه والمبرد والفراء وغيرهم.

[7] – نوقشت بجامعة الإمام بالرياض دكتوراه بعنوان " قواعد نقد القراءات: دراسة نظرية تطبيقية " من طرف الباحث عبد الباقي بن عبد الرحمن السيسي. وقد طبعت بدار كنوز إشبيليا

إليها "[1].ولا بد هنا أن نذكر في هذا السياق أن النقود القرائية التي كانت قبل استقرار قواعد التمييز بين الشاذ وغيره وقبل استتباب معالم القراءة المعتبرة ينبغي أن تعامل ببصيرة وتقرأ بتبين وتثبت، وتدرس أسيقتها ومخارج اصطلاحاتها بغرض الإبانة والإيضاح، وتستصحب بعد ذلك بغير قليل من جميل الحمل وحسن الظن، بعيدا عن منطق الهجر وسيئ القول، خاصة إذا كانت صادرة عن أئمة كبار هم من هذا الأمر بالمقام الخطير والمكان الشهير...[2]

وجه آخر من وجوه النقد أنت واجده في الاعتراضات والاستدراكات والتنبيهات والإصلاحات، التي يدونها المؤلفون في تواليفهم المفردة، أوفي سياقات معينة، وقد ذكرت بعض الأمثلة في مطلب التأليف.

وقال الشيخ علي النوري الصفاقسي في هذا المعنى:

" بعضهم يعتقد أن جميع ما يجده في كتب القراءات صحيح يقرأ به، وليس كذلك، بل فيها ما **لا تحل القراءة به**، وصدر منهم ــ رحمهم الله ــ على وجه السهو والغلط أو القصور وعدم الضبط".[3]

ملاحظ منهجية في التصنيف القرائي:

توخى أهل هذا الشأن إيقاع المادة القرائية على وفق قصود هادفة وطرائق مفيدة، وإخضاعها لصور كثيرة وأوضاع عديدة، تناسب مدارك الأفهام وتستجيب لمستوياتها في أعصرها، مع إيفاء الحقيقة العلمية حقها ومستحقها تأصيلا وتمثيلا، قاصية غايتهم في ذلك ما تردده عبارتهم المألوفة أن: " يكون أبين في الفهم،وأسهل في الحفظ"[4]مترسمين بذلك العقلية المنهجية التي تجمع بين المنهج العلمي والمقصد التعليمي.فكان ماسبق لنا من قصود التأليف وطرائقه: نظما ونثرا، ومتنا وشرحا... على أننا لا نحب أن يفوتنا هنا أن ننوه بما كان لاصطناع النظم من أثر بين، وحظوة بالغة في إبلاغ المرادات القرائية وتوصيل الحقائق الأدائية، فقد تفنن القراء في عرض أحكام القراءة، متواطئين على تعميم الفائدة القرائية وتيسير العلم بها، ومتفاوتين في تحقيق هذا المأرب بحسب ما يسر لهم من تمام الآلة وكمال الأهلية، فكانت الأنظام المتيعة، والقصائد الروائع، والأراجيز الرشيقة، تجري على أبحر الشعر المتنوعة مستوفية مطالب المقارئ في سمو بيان وإشراق لفظ وسلاسة تعبير... وربما يشار في هذا الصدد إلى أن أول من نظم كتابا في القراءات السبع هو الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي الضرير (ت

---

[1] – جامع البيان:ج2، 68

[2] – الغرض هنا إلى التخفيف من حدة بعض الطعون التي ووجه بها أمثال الإمام الطبري عن حسن نية وفساد منهج.

[3] – غيث النفع بحاشية سراج القارئ: 6. وقد أشار الإمام الشاطبي إلى شيء من ذلك، كمثل قوله:

وفي مردفيين الدال يفتح نافع   وعن قنبـــل **يـــروى** وليس معـــولا [أول فرش سورة الأنفال]
....   وفي شركاي الخلف في الهمز هلهـــلا [أول فرش سورة النحل]

[4] – الوجيز: 64.

378هـــ)[1]. وممن يذكر بالريادة في هذا النمط الإمام أبو الحسن الحصري (ت488هـــ) صاحب الرائية النافعية، كما أن إمامة أبي عمرو الداني والشاطبي في هذا الاتجاه غانية عن التسطير.

ترتيب المتن القرائي:

المصنف القرائي ذو بناء متين، ومنطقه المنهجي ينطق بغير قليل من الإحكام ؛ حيث كان القراء يأخذون المتن القرائي بحسن التنظيم، ويعملونه في جميل الترصيف، فأجروه على أنواع من الترتيب، وأحكموا طريقته في التقسيم والتبويب ؛ توخيا منهم لحسن التعلم وجميل الإفادة، وقد اقتضى نظرهم لذلك أن يسوقوا الأصول والحروف مساقا واحدا، بحسب ورودها في المصحف، وهو اصطلاح جرى عليه ابن مجاهد ومن وافقه. ورأى من بعده أن يوضع **مطرد الخلاف مبوبا – وهو قسم الأصول _ قبل متفرقه وحروفه _ وهو الفرش،** وربما كان الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (ت385هـــ) تلميذ ابن مجاهد " أول من وضع أبواب الأصول قبل الفرش "[2]، ولا شك أن جمع الأشباه والنظائر، ونظم أفراد الجزئيات في السياق الكلي مردفا بالحروف التي تتأبى على التقعيد، أهدى سبيلا في تيسير سبيل التحصيل، وضمان حسن الاستيعاب. ولذلك اعتمد هذا المنهج، وأصبح الغالب في ترتيب المادة التصنيفية، ويدل على ذلك أن صاحب البديع (ت454هـــ) في القراءات السبع أراد الخروج عن هذا العرف السائد ليعود به إلى شبه ما كان عليه أيام ابن مجاهد أو لعله هو[3] فقال: " وأوقف ذوي الأبصار عليه بحسن اختراعي وجميل ابتداعي ؛ إذ نهجت غير مناهجهم، ووردت غير مواردهم، وخرجت عن زحامهم، ونظمت غير نظامهم "[4]. وتحدثنا تراجم القراء أن بعض المؤلفين صاغوا المادة القرائية في صورة أبواب الأصول، وأدمجوا الحروف الفرشية فيها، وهو وضع يشبه أن يكون غير ما ذكر، وهو الوضع الذي وصف به كتاب" الشرعة في السبعة " لشرف الدين هبة الله البارزي (738هـــ)[5]. وربما ذهبت النباهة ببعضهم إلى أن يجمعوا أوزاع المادة في أصول كلية حتى تغدو أطول من الفرش، اعتمادا على أن من فهم أصول الكتاب فهو لفرشه أفهم[6].

على أن هذا الأمر لم يكن متوقفا على من تقدم، فقد يفتح الله في ذلك على المتأخر ما لم يدر بخلد المتقدم، وذلك ما كان من صنيع صاحب الغيث الذي هدي إلى ترتيب المادة القرائية " بطريق غريب وأسلوب عجيب ألهمه الله إليه، وهو مع فرط اختصاره أكثر مما ألفوه جمعا وأقرب نفعا، ويقع معه _ إن شاء الله _

---

[1] – غاية النهاية: 243/1 وينظر الكشف 1317/2.

[2] – غاية النهاية: 559/1.

[3] – باستثناء بعض الترتيبات والاستطرادات، وحذف ما جاد به من التوجيهات

[4] – البديع الورقة:1.

[5] – لطائف الإشارات: 90. غاية: 351/2 -352

[6] – وهو ماانهجه ابن الباذش في إقناعه، وتبعه عليه المالقي في نثيره

الأمن من الخطإ "[1]، وخلاصته أنه جعل كتابه مرتبا على حسب السور والآيات، يفرد حكم كل ربع براسه، مشيرا إلى انتهائه بذكر آخر كلمة منه، مع الاعتناء بذكر الفواصل، وينبه في الأثناء على ما يصعب فهمه مثل وقف حمزة وهشام، وإذا فرغ مما يحتاج إليه في الربع أصلا وفرشا،يقول: الممال ويذكر ما في الربع من اللفظ الممال، ويضم كل نظير إلى نظيره_ في غير السور الإحدى عشرة _ وإذا فرغ من الإمالة يقول: المدغم، ويذكر الإدغام الصغير، ثم يرسم (ك) إشارة إلى الإدغام الكبير،ويذكره بعد ذلك، وإذا فرغ من السورة يذكر ما فيها من ياءات الإضافة والزوائد، وعدد ما فيها من المدغم الكبير ثم الصغير.

وقد كان ترتيب نفس الأصول جاريا على أوضاع معينة، وهو الترتيب الذي لايعرى عن حكمة أو تعليل... مما قد يعود إلى رعي الترتيب المصحفي، أو غيره. ويصعب تحديد أول من تم له السبق في هذا الترتيب أو ذاك، على أنه قد تقع العبارة من بعض المؤلفين مصرحة بنوع سبق في هذا المعنى، وذلك إن لم يحمل على مذهب القطع فلا أقل من أن يقع اعتباره على نحو ما من الاعتبار... فقد قال العماني في الأوسط:

" وقد رتبته ترتيبا لم أسبق إليه "[2]. وكما أسلفنا من كلام صاحب البديع.

كما أن ترتيب القرأة في المصنف القرائي لم يكن على حد سواء، فكان التقديم يكون باعتبار أصل الكتاب، وباعتبار موطن القارئ، أو قدمته، وقد بدأ الأهوازي في بعض كتبه بابن عامر، وصدر أبو محمد عبد الله المعروف بسبط الخياط (ت 541هـــ) بابن كثير[3]، وبدأ ابن مهران في المبسوط والحافظ أبو العلاء الهمذاني العطار بأبي جعفر[4]

أسلوب الترميز:

وربما كان أول من استعمل الرمز – حرفيا أو كلميا – للدلالة على أسماء القراء الإمام الشاطبي في حرزه. قال ابن كثير: " وفيها من الرموز كنوز لا يهتدي إليها إلا كل ناقد بصير، هذا مع أنه ضرير " [5] ثم تابعه على ذلك من تابعه... كما أن أسلوب الترميز قد وجد سبيله الواسع في الاستعمال عند المغاربة في الرمزيات والرسميات المستعملة في جمع القراءات.[6]

---

[1] – ن. الغيث: 39.

[2] – الكتاب الأوسط: 39.

[3] – الاختيار: 41/1.

[4] – المبسوط: 8 والغاية: 4/1

[5] – البداية والنهاية: مج 7 ج 13.

[6] – ن. القراء والقراءات بالمغرب: 202 - 206

الأثر القرائي في العلوم الشرعية والعربية:

كان لهذا العلم صداه الطيب ووابله الصيب على مختلف العلوم،باعتبار أن العلم الشرعي والعربي كل واحد متضام، بعضه ينادي على بعض في تكامل وانسجام، على تقارب فيما بينها أو تباعد وإذا رأينا بعض الإسهام الذي كان لهذا الفن من لدن أهله الذين هم قطان حرمه، فإن غيرهم لم يكونوا في حل من الإيواء إليه والاغتراف من معينه والارتشاف من ضربه، بما هيأ له سبل التعدية وطرائق الامتداد في غيره من العلوم والمصنفات... وليس القصد هاهنا أن نستعرض تجليات الأثر القرائي، ونتتبع مواقعه ومثله وتفاصيله، فذلك أمر تكفلت به كثير من الدراسات في الموضوع، وإنما غرضنا أن نستجلي حضور المضامين القرائية في كثير من الحقول المعرفية في مقارها العديدة، على سبيل العرض الموجز الذي يظن أنه كاف في إفادة هذا الأمر والتنبيه إليه، وأنه من الجهد الذي لا يحق التغافل عنه أو التغاضي عن دلالاته.

المضمون القرائي في المصنفات المختلفة:

_ كتب التجويد:

وهي من ألصق المصادر بالقراءات، على ما بينهما من فرق في التناول المنهجي والموضوعي، فهذا القبيل من العلم وإن كان موضوعا على وفق قواعد الاتفاق ، ويقع منه المعالجة للرواية الواحدة في تحقيق مواهي حرفها مخرجا وصفة، فقد يفسح القول فيه _استطرادا_ لبعض أوجه الروايات وهيأة النطق ببعض القراءات، أو يقع فيها الوصف لقراءة القراء العشرة.. ومما قد تعثر فيه على البغية القرائية من كتب التجويد نذكر:

التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني (ت444هـ) والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني (ت569هـ)، وعقود الجمان، للجعبري (ت732هـ)، والتمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت833هـ)[1]، كما أن بعض شروح الجزرية قد يسعد بوجود شذرات قرائية في تضاعيفه، كما في شرح ابن غازي، وطاش كبري زاده (ت968هـ).

_ كتب الوقف والابتداء:

معلوم أن اختلاف الحركات الإعرابية لون من ألوان الخلف القرائي، وهو وثيق الاتصال بالمعنى، وهذا ما يجعل للاختلاف القرائي الأثر البين على مواطن الوقف القرءاني، فلا غرو أن تجد لذلك عبارات المؤلفين في الوقف والابتداء تعرض للوجوه القرائية، وتفاضل بين مراتب الوقوف بناء على تغاير الأداء القرائي.. ويكفيك أن تنظر في ذلك: القطع والائتناف لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت338هـ)،ومكتفى الإمام أبي عمرو الداني، وعلل الوقوف لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت560هـ)، ومنار الهدى في الوقف والابتدا

---

[1] - الغاية: 395/1

للأشموني، وغيرها، بل منهم من ألف في بيان هذا المطلب استقلالا كما فعل ابن القاضي (ت1082هــ) حين ألف كتابه الموسوم بــ"القول الفصل في اختلاف السبعة بين الوقف والوصل "

_ كتب الرسم:

علم الرسم أحد مدارات علم القراءات، وكثير من فصول القراءة وأحكامها لا يمكن تأديتها على حقها إلا بمعرفة هجاء المصحف وأوضاع حروفه وكلمه: وصلا وقطعا، وإثباتا وحذفا... وقد تضمنت كتب الرسم إلى ذلك مباحث قرائية لاغنى للقارئ عنها[1]، كمقنع الداني، وشروح مورد الظمآن للخراز. ومن أوسع الكتب التي تضمنت التفاصيل القرائية كتاب: نثر المرجان في رسم نظم القرءان للنائطي الأركاتي.

_ كتب علوم القرءان:

فقد كانت المادة القرائية مسطورة على نحو ما في كتب علوم القرءان على امتداد التصنيف فيها، إلى أن آل الأمر في ذلك إلى مصدريها الكبيرين: البرهان والإتقان.[2] ولاغرو، فالقراءات علم أصيل من علوم القرءان الكريم،تتصل كثير من مسائله بمباحث نزول القرءان الكريم ومستويات نقله، وتلاوته ورسمه ولهجاته ووجوه إعرابه..مما يجعل لهذه المصادر أهمية بالغة في رصد المفاد القرائي والوقوف عند كثير من أنحائه وتجلية عديد من جهاته.

_ المصنفات الحديثية:

ولو أننا اقتصرنا على الكتب الستة لوجدناها تشتمل _ على تفاوت بينها _ على طوائف من المعارف القرائية والهيآت الأدائية التي تعرض تحت الباب الواحد أو توزع على الأبواب المختلفة.

_ كتب التفسير:

ويندرج ضمن هذا العنوان: كتب معاني القرءان وإعرابه، وأحكام القرءان، وكتب التفسير بعامة، فكثير منها استبطن الوجه الدلالي لمتلو المقارئ، واستجلى ضنين معنى خلفه، كل حسب لونه ونوعه، ومنهجه وأسلوبه، وغرضه وقصده.. وقد اعتمد العنصر القرائي كثير من المفسرين كابن جرير الطبري في جامعه وأبو حيان في بحره والزمخشري في كشافه والجصاص في أحكامه وغيرهم كثير...[3].

_ مقدمات التفاسير:

ومن أمثل المقدمات التي حوت غررا من المادة القرائية: مقدمة الطبري المفسر، ومقدمة ابن عطية، ومقدمة ابن جزي، ومقدمة القرطبي المفسر، ومن المحدثين مقدمة الطاهر بن عاشور.

---

[1] – ومن أبرزها باب الاختلاف بين المصاحف بالزيادة والنقصان.

[2] – ن. فيما يتعلق بالعرض القرائي في هذين المصدرين: علوم القرءان بين البرهان والإتقان: 247.

[3] – أنجزت دراسات كثيرة في رصد العنصر القرائي في كتب التفسير.

_ كتب النحو:

ومقام القراءات من علوم العربية _عموما_ غان عن البيان، وقد كانت قضاياها موضع الاعتناء وموطن الاستشهاد في كتب النحو، وفي مصنفات الأولين من النحاة ما يفيد في هذا الأمر ويعطي بينة الأمر فيه.

_ كتب الفقه وأصوله:

فقد أفاد الأصوليون وأجادوا في مباحث هذا الفن التي يعنون بها، كحديثهم عن مراتب القراءة القرءانية ودرجة النقل في ثبوتها وشرائط ارتقائها إلى القرءانية، وحجية القراءة الشاذة، وضابط القراءة الصحيحة.. وكان الخلاف الفروعي في أمهات كتب الفقه متأثرا بالخلف القرائي وصادرا عنه، في أبواب متفرقة.

المادة القرائية في كتب البرامج والفهارس

وتدخل المادة القرائية في هذه الكتب ضمن ما يتلقاه صاحبها، مصحوبة أحيانا بظروف الأخذ: زمانا ومكانا ومشيخة، ومن الفهارس التي حوت بعض المعارف القرائية: فهرست عبد الملك المنتوري (ت833هـ)، وفهرس القاضي عياض (ت544هـ)، وبرنامج الوادي آشي، وفهرس ابن غازي (ت919هـ)...

القراءات في كتب الأدب واللغة والمعاجم العربية

اشتملت بعض كتب الأدب و اللغة و المعاجم العربية على طائفة كريمة من المأثور القرائي[1]. و وجدنا من يذهب بالمضمون القرائي يلبسه لبوس بعض الأجناس الأدبية كما فعل الديواني المقامة الواسطية [2].

من معالم الواقع القرائي في العصر الحديث: أداء وتصنيفا

تأدت إلينا التركة القرائية على نحو من تمام المادة وكمال الهيئة ووثيق النقل، تلقيا وتصنيفا وتفهيما وكان من أمرها ما رأينا من كريم الجهد وسابغ الإسهام ووافر الاهتمام، ولأجل أن نتبين ما آلت إليه في حديث العهد، ندرج بعض المعالم التي تنبئ عن هذا الأمر وتخبر خبره في مقامي السماع والتأليف، مذيلة ببعض الملحوظات، ومقفاة ببعض المقترحات.

الجمع الصوتي:

كان أعظم مشروع أنجز في العصر الحديث في مجال الأداء القرائي هو الجمع الصوتي ؛ فقد رأى فيه صاحبه لبيب السعيد وسيلة البشرية المثلى لتحقيق التلقي الشفوي المتعين سبيله لأخذ القرءان الكريم وتحصيل قراءاته، حلت به مغاليق رسوم الكتاب، واختزلت به أوضاع الضبط، ومكن به ما تيسر من متواتر المقروء دون

---

[1] – ولعل من أقدم المصادر الأدبية التي احتوت بعض القراءات كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ت231هـ)، وفي لسان العرب وتاج العروس من المادة القرائية الشيء الكثير.

[2] – وجه التهاني:227

شاذه. وكان المصحف الصوتي الإمام الذي كتب له تشنيف الأسماع بحروف الذكر مرتلة بجودة أول مرة هو مصحف الشيخ محمود خليل الحصري. ومجمل القول أن هذا المشروع كان كما قيل في حقه لو تم على نحو ما خطط صاحبه " مثل مصاحف عثمان أئمة يقتدى بها، ويرجع _ عند الشك والنسيان _ إليها، ويحتكم _ عند الاختلاف _ لديها، وينقطع النزاع عندها "[1] كما كان" استحياء للمبرزين من القراء، والرواة، وأصحاب الطرق، وأصحاب الأوجه، ثم لملايين القراء الآخذين عنهم "[2].

وكانت هذه الخطوة الرائدة و العمل الراشد، والتوطئة التي فتحت الباب أمام تسجيل القراءات القرءانية بالروايات المتداولة في المجتمعات الإسلامية، ثم عرف التسجيل الصوتي للقراءات القرءانية سبيله بنوع تدرج واستحياء، ثم سرعان ما تتابع وأصبح تقليدا منتشرا في العالم الإسلامي خاصة برواية حفص عن عاصم، ثم تلته التسجيلات الصوتية برواية ورش عن نافع، والدوري عن أبي عمرو، وقالون عن نافع...

التلقي المسند:

كما كان للتلقي القرائي مظهر بارز من خلال المعاهد القرائية التي تقوم على التعليم والإقراء، يتوج الطالب على إثر الختم بالإجازة التي تشهد لأهليته وكفاءته، وتحقق للطالب سنة الأخذ التي تصله بينبوع الرواية الأولى، وترجع به إلى الحضرة النبوية صلى الله عليه وسلم، وقد علم أنه مهما تقدمت أساليب الكتب وتطورت صور التدوين، واستحدثت صور الضبط والتصوير.. فإن ذلك لن يغني فتيلا عن المشافهات التي تسعف وحدها دون سواها في ضبط الهيآت الدقيقة للنطق، والتوقيف على كيفيات الأداء التي لا تحكمها إلا الملاسنة، صحيح أن بعض الأقطار خفت فيها هذا التدوين لسلسلة الإجازات، وربما تضاءل إلى حد الضمور، كما أن المحافظة على السلسلة الإسنادية في بعض الجهات لم تكن مانعة من أن يصير التلقي إلى ضعف ووهن.

هذا وقد تأيد التلقي القرائي في هذا العصر بأمور كثيرة أسعفت في التعريف به وتوصيف هيآته وتقريب حقائقه، وتحقيق مقاصده، فمن ذلك:

وجود كليات ومعاهد قرائية أحيت كثيرا من مسائل هذا العلم مضمونا ومنهجا. فقد أنشئت كليات للقراءات القرءانية لتفيد في التعريف بالعلم القرائي ومعارفه، تعريفا يسمو إلى تكوين القارئ المتناهي، وإيجاد العالم الراسخ في القراءات وعلومها، بحيث يأخذ موقعه في مجتمعه، ويسهم في أداء وظيفته الخيرة الإشعاعية ضمن منابر مختلفة وحقول متنوعة: إمامة وتدريسا وإعلاما... فكان من المعاهد و الكليات التي أسهمت في هذا السبيل:

- معاهد الإقراء بمصر، خاصة المعهد الذي أنشئ سنة 1946هـ
- كلية القرءان الكريم بالمدينة المنورة

---

[1] - الجمع الصوتي: 350

[2] - مقدمة الجمع الصوتي: 8

- جامعة القرءان الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان
- الكلية العليا للقرءان الكريم بالجمهورية اليمنية

وقد تخرج في هذه الكليات أجيال من حفاظ القرآن الكريم على القراءات العشر المشهورة والقراءات الشاذة بأسانيدها عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- تأسيس جمعيات ومراكز علمية للبحث العلمي المتخصص في القراءات وعلومها مثل الجمعية العلمية السعودية للقرءان الكريم وعلومه، ومعهد الإمام الشاطبي بجدة، ومركز الإمام أبي عمرو الداني للبحوث والدراسات القرائية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء
- تطور المنجزات التقنية الحديثة، وإسهامها بين في بث المعارف القرائية وتيسيرها.
- انتشار الإعلام النافع المفيد والإذاعات القرءانية، كإذاعة القرءان الكريم بمصر والكويت وإذاعة محمد السادس للقرءان الكريم...
- إنشاء قنوات متخصصة في هذا المجال. كقناة محمد السادس وقناة المجد القرءانية وقناة الفجر...
- عقد مسابقات محلية ودولية يتبارى فيها أهل الحفظ والأداء بحسب الروايات المتداولة.[1]
- إحياء نظام المقارئ في بعض البلدان الإسلامية.
- إحداث مواقع ومنتديات على الشبكة العنكبوتية تعنى بالقراءات وعلومها، كملتقى أهل التفسير، وملتقى القراءات العشر...
- إحداث المقارئ الإلكترونية، وهي _ بشرطها _محققة لغرض الأخذ ومزيلة لكثير من مكاره التلقي.
- كما مكن النظام المعلوماتي للمادة القرائية أن تحفظ القراءات بشكل متطور يسمح بجميل الاستفادة منها، وقد هيأت لذلك مشاريع هادفة مفيدة، ولعلي هنا في معرض التمثيل أورد هذا المشروع الواعد بقلم صاحبه الدكتور عز الدين الأزرق –الأستاذ بكلية العلوم والتقنيات بجامعة القاضي عياض بمراكش– يشرح مفهومه والغاية منه.

مشروع هيكلة بنية القرآن الكريم وعلومه– فرع التنزيل–

يهدف المشروع إلى تطوير نظام معلوماتي يتيح تأمين الآيات القرآنية المخزَّنة، بالرسم العثماني، خالصا وعلى اختلاف القراءات الصحيحة. فيمثل النص القرآني داخل الحاسب، باستعمال أحدث التقنيات المعلوماتية في بنية النص الإلكتروني (XML)، ومجموعة المقاسات المحيطة به، وبالترميز العالمي الموحد المعيار يونيكود. ويمنح إمكانية البحث عن الآيات بمحرك يتسامح في الترميز، والضبط، والقراءات، إلى غير ذلك. ويوفر أتمتة المصادقة على النص القرآني باستخدام تقنيات خدمات الشبكة العالمية واستعمال تقنيات التوقيع الرقمي.

---

[1] – ن. التقرير عن المسابقات القرءانية المحلية والدولية ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرءان الكريم وعلومه.

إن نظاما من هذا القبيل، يسهم في توفير بنية معيارية إلكترونية، شاملة مانعة، وفي نفس الوقت ممددة، للقرآن الكريم، كركيزة أساسية في الإسراع وتسهيل إنشاء تطبيقات معلوماتية متطورة، في العديد من المجالات التي يكون مرجعها القرآن الكريم. وقد روعي هذان المبدءان الهامان - استمرارا لجهود السلف دون استدراك، خلال كل مراحل هيكلة القرآن الكريم: أولا، تجريد المصحف الشريف من كل ما هو غير قرآني؛ وثانيا، الالتزام بالرسم العثماني وإثبات القراءات الصحيحة؛ وذلك دون الابتعاد عما أجمعت عليه الأمة. فالقرآن الكريم مُوَحد النص، متميز الرسم، ومضبوط اللفظ.

كما أنه يهدف إلى بلورة تصميم منهجي لإحداث مركز معلوماتي معتمد، للتوثيق والمصادقة على الآيات القرآنية الواردة ضمن النصوص الإلكترونية المنشورة، بصفة آلية، لزيادة تأمين سلامتها من التحريف والتصحيف. والله قد تولى حفظ كتابه العزيز.

مؤاخذات على واقع الأخذ:

- الإجازة القرائية المعروفة في أكثر البلاد الإسلامية نالها بعض ما يقعد بها عن وجه تمامها، وأداء كامل وظيفتها، فأصبحت متقاصرة عن مشمول المطالب القرائية، مختزلة في حسن الأداء وإحسان النطق، في إغفال ذريع لما يلزم الآخذ من تحقق بعلوم القراءة من رسم وعد ووقف وابتداء... وقد ينعكس الأمر فيكون المجيز على علم ما بعلوم الدراية، ولكن لا حظ له من إقامة الحرف على حده والنطق به على حقيقته، فرب مبلغ أوعى من سامع.
- ذيوع التسجيل الصوتي للقرءان وقراءاته، وانتشاره في الأقطار لم يكن دائما بشرطه، فقد يعرى عن رقابة اللجنة المختصة فيداخله الخطأ والعيب، ويفقد الغرض الذي من أجله وجد.
- التساهل في تمكين الطالب أن يقرأ بأسلوب الجمع، ولما يتقن بعد القراءة بالإفراد، والتمكن من إقامة الرواية الواحدة.
- التكالب على الإجازات الورقية دون السعي الجاد لتحصيل ثمرتها والتحقق من غايتها.

النص القرائي في العصر الحديث:

طباعة المصحف الشريف بالقراءات:

- مما يسر لهذه الأمة في الأعصر المتأخرة طباعة المصاحف ببعض الروايات المعتبرة وهي:
- رواية ورش عن نافع، المصحف الحسني المسبع ط وزارة الأوقاف.
- رواية قالون عن نافع ط الجماهيرية الليبية 1398هـ 1978م، وطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف1427هـ.

- مصحف الواثق بالله برواية حفص عن عاصم أشرف على طباعته الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، ط1 سلطنة بروناي.
- رواية الدوري عن أبي عمرو طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426هـ.
- مصحف الواثق بالله، برواية شعبة عن عاصم، أشرف على طباعته الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، ط1 سلطنة بروناي.
- رواية البزي عن ابن كثير دار القراءات، ألمانيا، ط 1، 1429هـ، 2008م.
- رواية قنبل عن ابن كثير دار القراءات، ألمانيا، ط 1، 1429هـ، 2008م.
- الميسر في القراءات الأربع عشرة[1].

- النشاط التأليفي والتوهج التصنيفي:

لم تخب جذوة التأليف في القراءات وعلومها في العصر الحديث، وإنما ظلت وهاجة معطاء، زاخرة بالمزيد من الإسهام، ومشتملة على توخي الإفادة في فروع مختلفة ولمقاصد متنوعة، ولئن كان من المعلوم **أن** كتب المتقدمين أرسخ من تآليف المتأخرين، فإن هذا لا يعني عدم غنائها ونفعها، وأن آحادها ربما بلغ من الإجادة والتحرير والنفع ما يكون به نديدا لبعض من تقدم... وقد كان **تحقيق المخطوط القرائي**، في مختلف أنماط تأليفه وصور تصنيفه مما نشطت له الجامعات العربية والمراكز العلمية المتخصصة، فأخرجت من البحوث الجامعية نفائس ودررا وعيونا عادت على المكتبة القرائية بجليل المنفعة وكثير المصلحة. ويمكن أن نصنف الإنتاج التصنيفي القرائي على هذا النحو:

صنف يسعى إلى التعريف بالقراءات القرءانية وتاريخها عموما، وغالبها مما يبغي تقريب المادة القرائية، وأن تقع على سبيل من التيسير لمتطلبها، وهي كثيرة جدا، وإنما نذكر ما نذكره على سبيل التمثيل:

كتب تاريخ القرءان الكريم وقراءاته، وأخص بالذكر منها:

تاريخ القرءان الكريم للدكتور عبد الصبور شاهين- رحمه الله –
القراءات القرآنية: تاريخ و تعريف[2].
في رحاب القرءان الكريم للدكتور محمد سالم محيسن[3].
القراءات القرءانية حتى عصر ابن مجاهد لإبراهيم عراك إسماعيل[4]

---

[1] - إنجاز: محمد فهد خاروف دار الكلم الطيب، ط2 دمشق 2002

[2] - لعبد الهادي الفضلي 1980 دار القلم.ط 2، بيروت.

[3] - نشر مكتبة الكليات الأزهرية، 1402هـ، القاهرة.

[4] - رسالة جامعية قدمت لجامعة بغداد لموسم 1994.

كتب تفرد الأحرف السبعة بالدرس لما لها من أثر بين في فهم طبيعة القراءات خاصة الشاذة منها، وقد كان هذا الموضوع مثارا لكتب عديدة ومقالات كثيرة، منها ما كان سمته التكرار والاجترار، والمتابعة في الإقرار والإنكار، ومنها ما كان يتلمس المخارج الناجعة والفهوم النيرة للموضوع، مجتهدا في أن يترسم المنهج السوي، المفضي إلى شاكلة الصواب، ولعل من أحسن من تحدث في الموضوع ورام منه حسن المعالجة:

الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه تاريخ القرءان، وكان ممن أخضعها للبحث الجاد والتتبع المتابع الدكتور عبد العزيز القاري في مقال له طبع كتابا بأخرة[1]، كما بسط القول فيها بتحليل جيد وفهم عميق الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر في كتابه النافع الماتع " القرءان والقراءات والأحرف السبعة "[2].

تفريد الاهتمام بالمقارئ وتاريخها في بعض الأقطار والديار مثل:

القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري للدكتورة هند شلبي[3]. وفيه بذل ظاهر واجتهاد جاد.

القراءات القرآنية في بلاد الشام لحسين عطوان [4]

القراءات والقراء بالمغرب للشيخ سعيد أعراب. وهو ــ على وجازته وعروه عن كثير التوثيق ــ رائد في بابه، إمام في موضوعه.

المدرسة القرءانية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية للأستاذ عبد السلام أحمد الكنوني.

ولعل مما يؤز على التمثيل به في هذا المقام هو الإنجاز الكبير والعمل الأثير الموسوم بــ "قراءة الإمام نافع عند المغاربة.." للدكتور عبد الهادي حميتو، فقد جمع فأوعى، وأفاد وأجاد، وأظهر وأحيا، ونبه على كثير مما يستحق استكماله في ناحية الموضوع ووجهته وفروعه، فجزاه الله خيرا.

تاريخ القراءات في المشرق و المغرب ولد اباه محمد المختار2001[5]، وهو ممن رام رومه وقصد صوبه، وأفاد من صنعته، مع حسن العرض وإيجاز يطلب قاصية الأمر في الموضوع...

تفريد القراءات والروايات والطرق:

---

[1] – المقال نشر بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الأول، 1980

[2] – دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1429 هـــ، مصر.

[3] – الدار العربية للكتاب، 1983م.

[4] – ط 1982، دار الجيل بيوت.

[5] – المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة 767 ص.سلا- المملكة المغربية.

وهي كثيرة، وقد تتبعها فضيلة الدكتور أشرف إلى عهد الشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنودي رحمه الله[1]

التأليف في القراءات العشر على سبيل التيسير

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية و الدرة ويليه القراءات الشاذة و توجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي[2]

كتب الشيخ محمد سالم محيسن كالمهذب في القراءات العشر والتذكرة في القراءات الثلاث.

وكتب الشيخ إيهاب فكري في شرح المتون التي عليها مدار الإقراء: تقريب الشاطبية والدرة والطيبة.

ومثلها الكتب التي وضعت لتسير طرق الجمع في القراءة مثل:

فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر لمحمد إبراهيم محمد سالم[3]

المنح الإلهية في جمع القراءات السبع لخالد بن محمد الحافظ العلمي الحسني[4]

إخراج المتون القرائية التعليمية على الهيئة الأنيقة التي تعين على التحفظ والاستظهار

ومن المتون التي تستحق الإشارة إليها مع الإشادة بها:

حرز الأماني للشاطبي بتحقيق تميم الزعبي، وآخر بعناية أيمن سويد

دراسات لبعض مباحث القراءات والتحقيق في بعض قضاياها:

ويأتي في طليعتها مؤلفات الشيخ محمد علي الضباع [5]

_ هدية القراء والمقرئين لخليل محمد غنيم الجنايني (تو14هـ).

_ الآيات البينات في حكم جمع القراءات لأبي بكر بن محمد بن علي بن خلف الحسيني [6].

التوجيه القرائي في التأليف الحديث

- التوجيه اللغوي للقراءات التي تفرد بها أبو جعفر ليوسف عبد الله خليل العقيل[7]
- التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم،لصبري المتولي[8]
- التوجيهات و الآثار النحوية و الصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، لعلي محمد فاخر[1]

---

[1] – ن.مقدمة مفردة الكسائي للدكتور أشرف.

[2] – دار الكتاب العربي– بيروت، 1981م،وطبع عام 1403 ط1 في مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

[3] – دار البيان العربي ط1، 2001

[4] – دار الزمان، ط1 1419هـ.

[5] – ن. تكرما العلامة علي محمد الضباع.. جهوده ومؤلفاته في علوم القرءان تأليف د, أشرف محمد فؤاد طلعت.

[6] – الكتابان طبعا معا بطبعة المعاهد بالقاهرة 1344هـ.

[7] – 1992جامعة اليرموك اربد.

[8] – 1996 دار غريب القاهرة

- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرءانية المتواترة للدكتور محمد أحمد الجمل[2].

كتب تستهدف جمع تراجم القراء وسيرهم

- القراءات و كبار القراء في دمشق من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر،لمحمد مطيع الحافظ[3]
- ابن بري التازي إمام القراء المغاربة لمحمد بن أحمد الأمراني[4].
- الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات،لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري. مكتبة الرشد- الرياض1999م.
- الامام ابن الجزري وجهوده في علم القراءات، إسماعيل: نبيل بن محمد. دار ابن حزم الرياض 2002م، 67ص.
- إمتاع الفضلاء بتراجم القراء،البرماوي: إلياس بن أحمد حسين بن سليمان مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة ط2 1428.

دراسات تبحث في المصطلح القرائي

ومنها:

المصطلح القرائي في تصانيف الإمام أبي عمرو الداني [5].

مصطلحات علم القراءات في ضوء علم المصطلح الحديث للدكتور حمدي صلاح الهدهد.[6].

المؤلفات التي تلتفت إلى الجانب التحريري في علم القراءات

- تأملات حول تحريرات العلماء للقراءات المتواترة لعبد الرازق بن علي بن إبراهيم موسى [7].
- "الرسالة الغراء في الأوجه المقدمة في الأداء عن العشرة القراء. ومعها القصيدة الحسناء تلخيصا للرسالة"النحاس،علي محمد توفيق [8]

المعاجم الموسوعية للألفاظ القرائية

ومما أنجز في هذا الباب:

- "معجم القراءات القرءانية " للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، والدكتورعبد العال سالم مكرم[9]

---

[1] - 1999 مكتبة وهبة. القاهرة

[2] - دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

[3] -2003 دار الفكر.دمشق.

[4] - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط 1996م.

[5] - رسالة دكتوراه قدمت في كلية الآداب بفاس تحت إشراف فضيلة الدكتور الشاهد البوشيخي لموسم 2002.

[6] - طبع بدار البصائر ط1 2008.

[7] - ط1 1413 هـ بالمدينة المنورة.

[8] - ط 1 1991 مكتبة الآداب القاهرة.

[9] - ن. معلومات عنه في " المعجم الموسوعي لألفاظ القرءان الكريم وقراءاته "

- "معجم القراءات" لعبد اللطيف الخطيب[1].

معاجم المصطلحات القرائية

ومما وضع في هذا السبيل:

- معجم مصطلحات علم القراءات القرءانية وما يتعلق به للدكتور عبد العلي المسؤول.[2].
- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات للدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري.[3].

الفهارس الجامعة لما ألف في القراءات:

وربما وجدت ضمن ما ألف في الدراسات القرءانية، وننوه من تلك البحوث بـــ:

معجم الدراسات القرءانية المطبوعة والمخطوطة لابتسام مرهون الصفار[4]

معجم مصنفات القرءان الكريم لعلي شواخ إسحاق[5]

ومن الجهود المشكورة في هذا السياق:

معجم الدراسات القرءانية لعبد الجبار الرفاعي [6]، وقد جعل على قسمين: قسم المقالات وقسم الكتب، بمنهجية جيدة نافعة.

البحوث التي تهتم بشاذ القراءة

- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي للدكتور محمود أحمد الصغير[7] دار الفكر.ط1999م

الدراسات التي تنظر في الأثر القرائي في علوم العربية والشريعة

ومن أمثلتها:

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) للدكتور عبد الصبور شاهين[8]
- القراءات وأثرها في التفسير و الأحكام، لمحمد بن عمر بن سالم بازمول[9]
- القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد سالم محيسن[10]

---

[1] – دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1422 _ 2002م.

[2] – 2007م. – ط.1 دار السلام

[3] – دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2007 –

[4] – نشر في أعداد متفرقة من مجلة المورد، ثم طبعته جامعة الموصل عام 1984 تحت عنوان " معجم الدراسات القرءانية ".

[5] – الرياض، دار الرفاعي للنشر ط1 1404هـــ.

[6] – ط. مركز الثقافة والمعارف القرءانية، ط1، قم، 1993م ، ولم يتيسر لي الوقوف إلا على قسم المقالات في مجلدين.

[7] – دار الفكر.ط1999م.

[8] – نشر مكتبة الخانجي، ط1 1987.

[9] – دار الهجرة الرياض1996

[10] – 1998 دار الجيل، بيروت.

- أثر القراءات في الفقه الإسلامي للدكتور صبري عبد الرءوف محمد عبد القوي[1]
- أثر اختلاف القراءات المتواترة في بعض أحكام العبادات، دراسة فقهية مقارنة[2]، السكري عبد السلام عبد الرحمن
- القراءات القرءانية وأثرها في الدراسات النحوية تأليف د. عبد العال سالم مكرم[3]
- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي لسيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل [4]
- اختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام و منهجه في القراءة، نصر: محمد بن موسى بن حسين[5].
- اختلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام للدكتورعبد الهادي حميتو[6].

تآليف في الدفاع عن القراءات:

- القراءات القرءانية في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضي

مجلات تعنى بقضايا هذا العلم ومسائله مثل:

مجلة كنوز الفرقان (1368هـ) الإتحاد العام لجماعة القرآء

ومنها: مجلة كلية القرءان الكريم بالمدينة المنورة

مؤاخذات على حال التصنيف القرائي

- التكاثر من خلال التوارد على نفس العناوين، تكرارا واجترارا.
- الإغارة على بعض الكتب المحققة، والانسلاخ من الرقابة الأخلاقية.
- الإزراء بالكتب القرائية: إخراجا وتحقيقا، فتلفى على الغاية من التصحيف والتحريف، فضلا عن الافتقار المتأصل إلى تحقيق نصها والنظر المفيد في مثاراتها، مما يضيع معه وجه المصلحة، ويصدق عليه أن يقال فيه: " رب نافعة ضارة "

استشراف ومقترح

ـ إحياء ما اندرس أو كاد من نظام الإجازات وتسلسل الأسانيد على سبيل الرسم والكتابة، فقد أدى إهمال كتابة الإجازات إلى تضييع سلسلة الإسناد ووصمها بالانقطاع والشذوذ... فلا بد من العود إلى تنظيم

---

[1] – طبعة أضواء السلف سنة 1997.

[2] – دار الطباعة المحمدية– القاهرة 1993 م.

[3] – مؤسسة الرسالة ط3 1996م.

[4] – من منشورات كلية الدعوة الإسلامية بليبيا

[5] – مكتبة الحامد– عمان، 1999 م، ط1.

[6] – رسالة ماجستير مقدمة لدار الحديث الحسنية لموسم 1980.

هذا الأسلوب الأثري الذي يصل ما انقطع، لكن بشرط أن يكون على حده ويحقق المبتغى من قصده... وبذلك تجد الإجازة مصداقها..

ـ الاحتفاء السابغ بالنص القرائي من خلال القيام بوجوه خدمته تحقيقا وتقويما، وتعريفا وتعليقا وما إلى ذلك.

ـ إحياء ما كاد يندرس من طرائق تلقين علم القراءات القرءانية: مادة ومنهجا، تعليما وتصنيفا، جمعا وإفرادا، أداء ورسما.

ـ إنشاء فروع متخصصة في طباعة المصحف الشريف بالروايات المشتهرة والضوابط المعتبرة، وما إلى ذلك من تحقيق المخطوط القرائي وما يتعلق به ونشر البحوث القرءانية الجادة.

ـ العناية بالمدارس القرائية وإمدادها بما يلزم للقيام بوظيفتها، والعمل على تأسيس مدارس أخر لتعميم الخير القرائي وإشاعته على الوجه الرضي.

ـ العناية بإتمام التسجيل الصوتي للقراءات القرءانية المعتبرة، عناية تكفل له تمام الإتقان وغاية الإحسان، بترسم أسباب هذا العمل وتكميل مقوماته تحت إشراف لجنة متخصصة.

ـ توثيق الصلات بين كليات القرءان الكريم والمؤسسات العلمية ذات الأهداف المشتركة، من خلال عقد المؤتمرات والندوات والأنشطة العامة...

ـ تحقيق التواصل العلمي بين المتخصصين في علم القراءات، و تنسيق الجهود في مراجعة ما يصدر من التراث القرائي وتصحيحه وتقويمه والنصح بشأنه.

ـ تعاهد المدارس القرائية القائمة بالتوجيه والتقويم، وإمدادها بما يلزم لتحقيق مقصدها المنيف، والقيام بعملها الشريف.

ـ فهرسة المخطوط القرائي الفهرسة الدقيقة المستوعبة.

ـ فهرسة الرسائل والبحوث الجامعية في علم القراءات.

ـ العمل على تأليف الموسوعات القرائية التي تأتي على المادة القرائية بالاستيفاء ودقة التوثيق وحسن العرض وجمال الترتيب.

ـ استجلاء ما يلوح من الأثر الأدائي للقراءة القرءانية في البلاغة والإعجاز، والدفع بالدراسات في هذا الشأن إلى نحو من العمق.

لائحة المصادر والمراجع

الإبانة عن معاني القراءات: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محي الدين رمضان، دار المامون للتراث، ط1 (1399-1979م).

الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، جامعة أم القرى، مكة، (1417ه_1996م).

أليس الصبح بقريب: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية.

الانتصار للقرآن: أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، ط1 (1422ه_2001م).

البداية والنهاية: ابن كثير، دار الفكر، بيروت، (1398هـ-1978م).

برنامج المجاري: تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط1.

تاريخ القرآن: تيودور نولدكه، مؤسسة الجمل 2008م.

تاريخ القرآن: عبد الصبور شاهين، دار القلم 1966م.

التبصرة في القراءات السبع: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محمد غوث الندوي، الدار السلفية، بومباي، ط2 (1402ه-1982م).

التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار،الأردن، ط1.

التلخيص في القراءات الثمان: أبو معشر الطبري، دراسة وتحقيق محمد حسن عقيل موسى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط1 (1412ه-1992م).

التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو الداني، تحقيق أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، ط2 (1404ه).

جامع البيان في القراءات السبع: أبو عمرو الداني، جامعة الشارقة ، ط1 (1428ه_2007م).

جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاوي، تحقيق حسين البواب، مكة المكرمة، (1987م).

الجمع الصوتي: لبيب السعيد،دار الكتاب العربي.

الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي،تحقيق بدر الدين قهوجي، دار المامون للتراث، ط1 (1404ه-1984م).

حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبعة: أبو القاسم الشاطبي، تحقيق تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، (1410ه-1990م).

الدراسات القرءانية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري: إبراهيم الوافي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط2 (1430هـ _ 2009م).

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأهما حتى نهاية القرن الرابع الهجري: أحمد نصيف الجنابي، مكتبة دار التراث، القاهرة (1377هـ _ 1977م).

دور القرآن في دمشق: عبد القادر النعيمي، صححه صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط3، (1983م).

رسالة في حكم القراءة بالشاذ: يوسف زاده، تحقيق عمر حمدان و صاحبه، دار الفضيلة للنشر، ط1،(1427هـ-2004م).

الروضة في القراءات الإحدى عشرة: أبو علي المالكي، دار العلوم والحكم، ط1،(1424هـ-2004م).

السبعة في القراءات:ابن مجاهد،تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2.

طبقات القراء: شمس الدين الذهبي، تحقيق د.أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2 (1427-2006م).

طيبة النشر في القراءات العشر: ابن الجزري ضبطه محمد تميم الزعبي، مكتبة الهدى، المدينة المنورة، ط4،(1427هـ-2007م).

علوم القرآن بين البرهان والإتقان: حازم حيدر، مكتبة دار الزمان، ط2، (1426هـ).

غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، بعناية ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت، ط3 (1402-1982م).

غيث النفع في القراءات السبع: علي النوري الصفاقسي، مطبعة مصطفى البابي، ط3 (1373ه_1954م).

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

فتح الوصيد في شرح القصيد: علم الدين أبي الحسن السخاوي، تحقيق مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، ط2، 2005م.

الفهرست:ابن النديم،مؤسسة الفرقان، (1430هـ2009م).

القراء والقراءات بالمغرب: سعيد أعراب،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1410ه_1990م).

قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش: عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، (1424ه_2003م).

القرآن والقراءات والأحرف السبعة: عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلام القاهرة،ط1 (1429 ه_2008م).

الكتاب الأوسط في علم القراءات: أبو محمد الحسن بن علي العماني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، ط1 (1427ه_2006م).

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار الفكر، (1410ه_1990م).

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق محي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق،(1394ه_1974م)

الكنز في القراءات العشر: عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، دراسة وتحقيق د. خالد أحمد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ط1 (1425هـــ _ 2004م).

لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني، تحقيق عامر عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون لإسلامية،القاهرة،ط1(1392ه_1972م).

لوامع الغرر شرح فرائد الدرر (في القراءات الثلاث) لأبي العباس أحمد الكوراني (ت893هـــ)،تحقيق ودراسة د. ناصر بن سعود القثامي، مكتبة الرشد ناشرون، ط1 2009م.

المبسوط في القراءات العشر: أبو بكر ابن مهران، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق (تاريخ المقدمة 1980م).

المدرسة القرءانية في المغرب: عبد السلام أحمد الكنوني، مكتبة المعارف، ط1،(1401هـــ-1981م).

معاني القرآن: أبو زكرياء الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،دار السرور،بيروت.

معجم الأدباء: ياقوت الحموي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأخيرة.

المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن: من أعمال ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه(1421 هـــ-2000م).

معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار: الحافظ الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط1 (1404هـــ_1984م).

مفردة الحسن البصري: أبو علي الأهوازي، دراسة وتحقيق عمر حمدان، دار ابن كثير للنشر، الأردن، ط1، (1427هـــ-2006 م).

مفردة الكسائي: أبو عبد الله محمد الكرماني، دراسة وتحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت، المطبعة الوطنية، سلطنة بروناي، دار السلام، ط1 (1428هـــ-2007م).

المقنع في رسم مصاحف الأمصار: أبو عمرو الداني، تحقيق الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

المنبهة: أبو عمرو الداني، تحقيق لحسن وجّاج، ط1 (1430ه_2009م).

منجد المقرئين ومرشد الطالبين: لمحمد بن محمد بن الجزري، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد ط1 1419هـــ.

مهارات التدريس في الحلقات القرآنية: علي الزهراني، دار ابن عفان، ط1، (1418هـــ-1997م).

النجوم الزاهرة في السبعة المتواترة: أبو عبد الله المقري الحكري، الجامعة الإسلامية، ط1،(1431هـــ-2010م).

النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، تحقيق محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

الوجيز في شرح قراءات القَرأة الثمانية أئمة الأمصار الخمسة: أبو علي الأهوازي، تحقيق دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلامي، ط1 (2002م).